الحجاب:
تحريرٌ أم قمع؟!
في ضوء أبحاث علمية حديثة



المؤلف: الدكتور جوهر مشتاق

الحجاب: تحريرٌ أم قمع؟! — في ضوء أبحاث علمية حديثة
المؤلف: الدكتور جوهر مشتاق

الحجاب:

تحريرٌ أم قمع؟!

في ضوء أبحاث علمية حديثة

المؤلف: الدكتور جوهر مشتاق

تصحيح و تدقيق الترجمة:

الشيخ ياسر الحُمَيدي

د. أحمد الصوفي

أ. صالح قرة محمد

الفهرس

تقريظ: مريم جميلة الأمريكية (رحمها الله)

كتب الدكتور جوهر مشتاق كتابًا بعنوان "الحجاب: تحريرٌ أم قمع؟" دراسةٌ علميةٌ عن النظام الاجتماعيّ للإسلام. ذُكرَت فيه أدلةٌ كثيرة من القرآن والسنة وعلماء المسلمينَ على حقيقة الحجاب في الإسلام. يلقي هذا الكتابُ الضوءَ على آداب التعامل بين الرّجل والمرأة في مجتمع إسلاميّ. تعاملًا مميزًا من خلال أدلة من الأبحاث المنشورة في المجلات العلمية البارزة.

و قد صَدَر الكتاب "الحجاب: تحريرٌ أم قمع؟" في وقت اشتعالِ قضية نقاب المرأة المسلمة في البلدان "الليبرالية" مثل فرنسا وبريطانيا وهولندا. ومع أن هذه البلدان تَدَّعِي الحريّة والعَلْمانيّة، إلّا أنّها تحارب النقاب والحجاب وتخاف بشدّةٍ من "قطعةٍ صغيرةٍ من القماش" تستخدمها النساء المسلماتُ لتغطية وجوههن، فأرادوا منع ارتداء الحجاب في الأماكن العامة.. في الواقع، ليس النقاب هو ما تخافه هذه الدول العظيمة، بل الوجه الورع والمشرق للمرأة المسلمة. إنّه حقـًا غريبٌ جداً ! تشتدّ الحاجة لهذا الكتاب في عصرٍ تنبهر فيه

الحداثة بالعيون، حيث فقد الحياءُ قيمَتَه واعتنق العديد من المسلمين النسخة الاعتذارية لدين الإسلام. الحمد لله رب العالمين.

مريم جميلة الأمريكية [1]

(مارجريت ماركوس Margaret Marcus)

(20 يناير 2011)

---

[1] ولدت مريم جميلة في عائلة يهودية من نيويورك بأمريكا. اعتنقت الإسلام في السابعة والعشرين من عمرها. وهي واحدةٌ من أبرز العالمات المسلمات في القرن العشرين. لها العديد من الكتب عن الإسلام. توفيت في 31 أكتوبر 2012 في لاهور. رحمها الله وجعل مثواها الفردوس الاعلى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بيد العفاف أَصون عز حجابي
وِبِعِصمَتي أَسمو عَلى أَترابي
(عائشة التيمورية)

في عالم يقاس فيه قيمة المرأة غالبًا بمظهرها الجسدي، حيث يُستهزأ بالحياء باعتباره قيمًا بالية، ويُجعل جسد الأنثى سلعةً تُستغل للربح، يبرز سؤال يطلب إجابة: كيف تبدو الحرية الحقيقية للمرأة؟

تحتفل الثقافة الحديثة بكشف الجسد الأنثوي بينما تُدان المرأة، بمفارقة صارخة، عندما تجرؤ على التمسك بحيائها. يُمدح الرجال لارتداء البدلات، بينما تُشجع النساء على ارتداء القليل. تغمرنا وسائل الإعلام بصور مفرطة في

التهييج الجنسي، محولة المرأة إلى مجرد أداة للرغبة. حذر الناقد الثقافي الأمريكي نيل بوستمان (Neil Postman) من مجتمع مهووس بالصورة، سكران بالشهوة، حيث يُسوق الجنس كمنتج، وتُجرد البراءة من أطفالنا. في هذا العصر المزعوم "للتنوير"، يُستهان بالعذرية، وضاع الغريزة الطبيعية لحماية المرأة.[2]

ولكن ماذا لو لم تكن الحرية في نزع المزيد من الطبقات، بل في استعادة الكرامة والخصوصية واحترام الذات؟ ماذا لو كانت الإجابة معنا منذ قرون، منسوجة في نسيج الأمر الإلهي؟

خلافًا للاعتقاد السائد، فإن الإسلام هو أعظم مُنصف للمرأة في التاريخ. الحجاب ليس رمزًا للقمع، بل هو درع وإعلان للاستقلالية. إنه يحفظ جمال

[2] Postman, Neil (1992). <u>Conscientious Objections: Stirring up Trouble about Language, Technology and Education</u>. New York, Vintage Books.

المرأة من نظرات الغرباء الجائعة، مما يمكنها من تعريف نفسها بما يتجاوز شكلها المادي.

هذا الكتاب رحلة عبر القرآن والسنة والأبحاث العلمية الحديثة لكشف الحقيقة عن الحجاب. هل هو مجرد قطعة قماش، أم فعل تمردي ضد عالم يسعى لاستغلال المرأة؟ لماذا تتبنى نساء غربيات، خائبات من فراغ "التحرر" الجنسي، الإسلام بأعداد تفوق الرجال؟ ولماذا يعيش النقاب - الذي كاد يتلاشى تحت التأثير الاستعماري - انتعاشًا بين نساء مسلمات متعلمات ومستقلات؟

من شوارع باريس إلى جامعات القاهرة، يثير الحجاب الجدل والخوف والانبهار. لكن وراء السياسة، وراء المفاهيم الخاطئة، تقع حقيقة عميقة: الحجاب هو تحرر. إنه خيار، وحماية، وتصريح بأن قيمة المرأة ليست للاستهلاك العام.

يهدف هذا الكتاب إلى تفكيك الأساطير، وتحديد الصور النمطية، وكشف الحجاب كما هو حقًا: هبة إلهية، ومعجزة علمية، وبيان نسوي. سواء كنتَ شكاكًا أو باحثًا أو مؤمنًا، استعد لرؤية الحجاب بعيون جديدة.

لأن السؤال الحقيقي ليس لماذا تغطي المسلمات، بل لماذا يرفض بقية العالم ذلك؟ هذا هو عصر "التنوير" الذي يُحقر فيه العذرية، وفقد فيه الرجال غريزتهم الطبيعية في حماية نساء أسرهم. ولإعادة هذه القيمة الأخلاقية المفقودة، أكتب هذا الكتاب – لأؤكد على أهمية الحجاب الإسلامي.

تغطي المرأة المسلمة جسدها لحماية نفسها من السرقة البصرية، فيوفر الحجاب "معطفًا أخلاقيًا" في ظل المناخ العاصف للحداثة. وهذا ما سيوضحه هذا الكتاب إن شاء الله.

الفصل الأول

هل النقاب من حجاب المرأة؟

في ضوء الشريعة الإسلامية

الحجاب في الإسلام هو اللباس الشرعي الذي يُغطي جميع بدن المرأة أمام الأجانب، ويشترط أن يكون فضفاضـاً غير ضيق، وساتراً غير شفاف، وخاليـاً من الزينة الظاهرة، ولا يشبه لباس الرجال أو الكافرات، وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى بالستر والعفاف. أما النقاب فهو غطاء الوجه الذي يترك العينين ظاهرتين، ويُعتبر جزءاً أساسيـاً من الحجاب الكامل الذي كان معمولاً به في جميع البلاد الإسلامية حتى القرن الماضي، كما سنفصله لاحقـاً في هذا الكتاب، حيث ظل قرونـاً طويلة يمثل الهوية الإسلامية للمرأة، ودليلاً عمليـاً

على التزامها بتعاليم دينها. وقد دلّت نصوص القرآن والسنة على مشروعيته، كقوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ (الأحزاب:59)، حيث فسرها كثير من المفسرين بتغطية الوجه، وهو الأمر الذي كان معمولاً به في عهد النبي ﷺ وخير القرون، واستمر كعلامة مميزة للمجتمعات المسلمة عبر العصور.

لقد برز الجدل حول النقاب في العصر الحديث بسبب عاملين رئيسيين:

1. الاستعمار الغربي الذي شنّ هجومًا على الحجاب والنقاب، ففرض خلعهما بالقوة في بعض البلاد الإسلامية.
2. وسائل الإعلام العالمية التي جعلت من وجه المرأة أداة للإعلان والتسويق، مخالفةً للأحكام الشرعية.

ومع انتشار هذا التشويش، ظهرت أفهام مغلوطة بين بعض المسلمين، فصاروا يتساهلون في أمر النقاب بحجة أنه "عادة وليس عبادة". وهذا خطأ بين، إذ النقاب حكم شرعي تُناط به المصالح الدينية والدنيوية، وليس مسألة عرفية تتغير بالأزمنة. لقد انتشر اليوم سوء الفهم والارتباك بين المسلمين فيما يتعلق

بلباس المرأة المسلمة. أحد أهداف تأليف هذا الكتاب هو حلّ الجدل حول "الحجاب مع النقاب أو بدونه" في الإسلام.

وللتطرق إلى هذه المسألة، سننظر أولا إلى الأدلة من الكتاب والسنة في مسألة الحجاب مع النقاب أو بدونه. وبعد ذلك سننظر إلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم في كيفية فهمهم لأوامر القرآن فيما يتعلق بحجاب المرأة المسلمة. وسننظر أيضًا في موقف علماء الإسلام من هذه القضية. قبل أن نبدأ المناقشة، من المهم بالنسبة لنا أن نفهم أن المرجع النهائي للمسلمين هو القرآن والسنة. وفي القرآن قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (سورة الأحزاب: 36)

قال تعالى في سورة النور :

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (سورة النور: 63)

الآيات المذكورة أعلاه من القرآن تخبرنا أنه يجب علينا اتباع وصايا الله ورسوله. ولا ينبغي لنا أن نبحث عن ثغرات في تلك الوصايا من خلال إبداء آرائنا أو تبرير أحكامنا لمجرد أننا لم نعتد أن نرى تلك الوصايا هي السائدة في المجتمع. عندما ننظر حولنا فإننا نجد نساء مسلمات مكشوفات الوجوه (بغطاء الرأس فقط) يسرن في الشوارع ويتسوقن في الأسواق. وبالرغم من تفشي هذه الظاهرة فلا يعد مبررًا للتخلي عن تغطية الوجه بالنقاب، لأن القرآن يخبرنا أن الأغلبية ليست معيار الحقيقة. ويحتمل أن الأغلبية قد يَعصون الله:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (سورة الأنعام: 116)

إن الشريعة الإسلامية المباركة حريصة على تكريم المرأة، والمحافظة عليها، ومِن وسائل تكريم المرأة النقاب، فهو مِن محاسن الشريعة الإسلامية. اتفق

العلماء على وجوب ستر المرأة جميع بدنها أمام الأجانب، وإنما وقع الخلاف بينهم في حكم كشف الوجه والكفين. فذهب جمهور العلماء من الحنفية والشافعية والحنابلة إلى وجوب تغطيتهما، وهو المنقول عن السلف بالإجماع كما ذكر ابن حزم في "المحلى". بينما ذهب آخرون إلى جواز كشفهما مع استحباب التغطية.

وأجمع العلماء على وجوب ستر الوجه عند خوف الفتنة، كما نص على ذلك مجمع الفقه الإسلامي في دورته الثالثة عام 1407هـ، وصرحت به اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.[3] وقد أكد هذا الحكمَ أئمةُ المذاهب، فقال ابن عابدين الحنفي: **"يجب ستر الوجه عند الفتنة"**، وأوضح النووي الشافعي أن **"الستر الوجه واجب عند خوف الفتنة."**

وبناء على هذه الأدلة، فإن الرأي الراجح – والذي نؤيده في هذا الكتاب – هو وجوب ستر الوجه مطلقـاً، سداً لذرائع الفتنة، وتحقيقـاً للمقاصد الشرعية من

[3] قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي (دورة 1407هـ، قرار 3/ 3)، فتوى اللجنة الدائمة (رقم 21302، 17/ 222)

الحجاب. وسنستعرض في الصفحات التالية أدلة هذا الحكم من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وأقوال أئمة السلف الصالح رحمهم الله.

أدلة وجوب النقاب من القرآن

(1) قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾ (الأحزاب :53)

قال الإمامُ ابنُ جرير الطبري (عند تفسيره لهذه الآية): وَإِذَا سَأَلْتُمْ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّوَاتِي لَسْنَ لَكُمْ بِأَزْوَاجٍ مَتَاعًا (فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) يَقُولُ: مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِنَّ بُيُوتَهُنَّ (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: سُؤَالُكُمْ إِيَّاهُنَّ الْمَتَاعَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنْ عَوَارِضِ الْعَيْنِ فِيهَا الَّتِي تُعْرَضُ فِي صُدُورِ

الرِّجَالِ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ، وَفِي صُدُورِ النِّسَاءِ مِنْ أَمْرِ الرِّجَالِ، وَأَحْرَى مِنْ أَنْ لَا يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِنَّ سَبِيلٌ. (تفسير الطبري)[4]

وقال الإمامُ القرطبي المالكي رَحِمَهُ اللهُ: (عند تفسيره لهذه الآية) هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَذِنَ فِي مَسْأَلَتِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، فِي حَاجَةٍ تَعْرِضُ، أَوْ مَسْأَلَةٍ يُسْتَفْتَيْنَ فِيهَا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ النِّسَاءِ بِالْمَعْنَى، وَبِمَا تَضَمَّنَتْهُ أُصُولُ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَنَّ الْمَرْأَةَ كُلَّهَا عَوْرَةٌ، بَدَنُهَا وَصَوْتُهَا،فَلَا يَجُوزُ كَشْفُ ذَلِكَ إِلَّا لِحَاجَةٍ كَالشَّهَادَةِ عَلَيْهَا، أَوْ دَاءٍ يَكُونُ بِبَدَنِهَا، أَوْ سُؤَالِهَا عَمَّا يَعْرِضُ وَتَعَيَّنَ عندها. (تفسير القرطبي)[5]

---

[4] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري). جـ22، ص190. تحقيق: محمود شاكر. القاهرة: دار المعارف

[5] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد .الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). ج14، ص218. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964م.

(2) قال الله سبحانه تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥٩﴾ (سورة الأحزاب: 59)

قال عبدُ الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمَرَ اللهُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ فِي حَاجَةٍ أَنْ يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِنَّ بِالْجَلَابِيبِ، وَيُبْدِينَ عَيْنًا وَاحِدَةً» (تفسير الطبري جـ 22، صـ 207)

روى ابنُ جرير الطبري عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: سَأَلْتُ عُبَيْدَةَ، عَنْ قَوْلِهِ: (قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) قَالَ: «فَقَالَ بِثَوْبِهِ، فَغَطَّى رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ، وَأَبْرَزَ ثَوْبَهُ عَنْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ» وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أُمِرْنَ أَنْ يَشْدُدْنَ جَلَابِيبَهُنَّ عَلَى جِبَاهِهِنَّ (إسناده صحيح) (تفسير الطبري جـ 22، صـ 208).

و في تفسير قوله تعالى: "ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ" قال الإمام ابن جرير الطبري: «هَذَا السِّتْرُ بِالجَلَابِيبِ أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يُعْرَفْنَ بِأَنَّهُنَّ حَرَائِرُ عَفِيفَاتٌ، فَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُنَّ بِأَذًى كَمَا كَانَ المُنَافِقُونَ يُؤْذُونَ النِّسَاءَ قَبْلَ نُزُولِ الحِجَابِ». (تفسير الطبري، ج22، ص209).

قَالَ الإمام السُّيُوطِيُّ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ آيَةُ الْحِجَابِ فِي حَقِّ سَائِرِ النِّسَاءِ فَفِيهَا وُجُوبُ سَتْرِ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ عَلَيْهِنَّ. (عون المعبود جـ 4، صـ 106).

وقال **الإمام القرطبي المالكي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت 671هـ): "قوله ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ أَيْ: هَذَا الزِّيُّ المُخَصَّصُ لَهُنَّ عَنِ الإِمَاءِ وَالفُسَّاقِ، فَلَا يُلْحَقُ بِهِنَّ أَذَى المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِلنِّسَاءِ بِالقَوْلِ الفَاحِشِ" (الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص219).

قَالَ **الإمام أَبُو بَكْرٍ الجصاص الحنفي** رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ الشَّابَّةَ مَأْمُورَةٌ بِسَتْرِ وَجْهِهَا عَنْ الْأَجْنَبِيِّينَ وَإِظْهَارِ السِّتْرِ

وَالْعَفَافِ عِنْدَ الْخُرُوجِ لِئَلَّا يَطْمَعَ أَهْلُ الرِّيَبِ فِيهِنَّ. (أحكام القرآن للجصاص)[6]

قال **الإمام ابنُ تيمية الحنبلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ضُرِبَ الْحِجَابُ عَلَى النِّسَاءِ لِئَلَّا تُرَى وُجُوهُهُنَّ وَأَيْدِيهِنَّ. (مجموع فتاوى ابن تيمية)[7]

(3) قال الله تعالى:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ (النور:31)

---

6 الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي .أحكام القرآن .تحقيق: محمد صادق قمحاوي، ج3، ص371. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1405هـ/ 1985م.

7 ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم .مجموع الفتاوى .جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج15، ص372. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/ 1995م.

روى **ابنُ جرير الطبري** عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قوله تعالى (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قَالَ: «الثِّيَابُ». ثُمَّ بَيَّنَ الطَّبَرِيُّ تَفْسِيرَهُ بِقَوْلِهِ:

"وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الزِّينَةِ الَّتِي أُمِرْنَ بِسَتْرِهَا، وَالزِّينَةِ الَّتِي أُذِنَ لَهُنَّ فِي إِظْهَارِهَا، وَالصَّوَابُ أَنَّ الزِّينَةَ الظَّاهِرَةَ هِيَ مَا يَظْهَرُ مِنَ اللِّبَاسِ فِي الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ، وَالزِّينَةُ الْبَاطِنَةُ هِيَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ سَتْرُهُ."(تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جـ20، صـ284-285).

قال الإمامُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله سبحانه: (وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) (النور:31) يعني لا تضرب المرأة برجلها فيُعلم ما تخفيه من الخلاخيل ونحوها مما تتحلى به للرجل، فإذا كانت المرأة منهية عن الضرب بالأرجل خوفاً من افتتان الرجل بما يسمع من صوت خلخالها ونحوه، فكيف بكشف الوجه؟!

فأيهما أعظم فتنة: أن يسمع الرجل خَلخَالاً بقدم امرأة لا يدري من هي وما جمالها، ولا يدري أشابة هي أم عجوز، ولا يدري أشوهاء هي أم حسناء، أم أن ينظر إلى وجه سافر جميل، ممتلئ شباباً ونضارةً وحُسناً وجمالاً وتجميلاً مما يجلب الفتنة ويدعو إلى النظر إليها؟!

إن كل إنسان له إربة في النساء لَيَعْلَم أي الفتنتين أعظم وأحق بالستر والإخفاء؟![8]

(4) قال سبحانه تعالى:

﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠﴾ (النور:60)

[8] ابن عثيمين، محمد بن صالح .رسالة الحجاب .ص14-15. الرياض: دار الثريا، 1421هـ.

روى ابنُ جرير عن أبي وائل قال: سمعتُ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في هذه الآية (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) قَالَ: (الْجِلْبَابُ). (إسناده صحيح) (تفسير الطبري جـ 20صـ 401)

روى البيهقي عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ قَالَ: كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ وَقَدْ جَعَلَتِ الْجِلْبَابَ هَكَذَا وَتَنَقَّبَتْ بِهِ فَنَقُولُ لَهَا رَحِمَكِ اللهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) هُوَ الْجِلْبَابُ قَالَ فَتَقُولُ لَنَا: أَيُّ شَيءٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَنَقُولُ (وَأَنْ يَسْتَعْفِفنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) فَتَقُولُ هُوَ إِثْبَاتُ الْجِلْبَابِ.(سنن البيهقي جـ، 7صـ 93) وقوله تعالى (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) (النور:31)

و هذا صريحٌ في إدناء المرأة لخمارها، من رأسها إلى صدرها، ومن المعلوم لكل عاقل ،أن الوجه من الرأس، فيدخل في التغطية.

أدلة وجوب النقاب مِن السُّنةِ:

(1) قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لَا تَنْتَقِبْ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةُ وَلَا تَلْبَسْ الْقُفَّازَيْنِ. (البخاري حديث 1838)

قال **الإمام أبو بكر بن العربي المالكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله ﷺ (لَا تَنْتَقِبْ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةُ) لأن ستر وجهها بالبرقع فرضٌ إلا في الحج، فإنها ترخي شيئاً من خمارها على وجهها، غير لاصق، وتُعرض عن الرجال، ويُعرضون عنها. (عارضة الأحوذي لابن العربي)[9]

وقال **ابنُ تيمية الحنبلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا الحديثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النِّقَابَ وَالْقُفَّازَيْنِ كَانَا مَعْرُوفَيْنِ فِي النِّسَاءِ اللَّاتِي لَمْ يُحْرِمْنَ. وَذَلِكَ يَقْتَضِي سَتْرَ

---

[9] ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي. عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي . ج4، ص56. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار الكتب العلمية، 2007م.

وُجُوهِهِنَّ وَأَيْدِيهِنَّ (مجموع فتاوى ابن تيمية جـ 15، صـ 372)

(2) روى البخاريُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

خَرَجَتْ سَوْدَةُ ـ بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ ـ لِحَاجَتِهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ قَالَتْ فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا قَالَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ. (البخاري حديث 4795)

هذا الحديثُ فيه دليلٌ واضحٌ على وجوب تغطية الوجه، إذ إنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يَعرِفْ سودةَ بنتَ زمعةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلا من خلال جِسْمِها، مما يدلُّ على أنَّ وجهَها كان مُستورًا بالنقاب. وقد أكَّد هذا المعنى جملةٌ من أئمة الحديث والعلماء:

- **ابن حجر العسقلاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت 852هـ) بيّن أنَّ الحديثَ دليلٌ على أنَّ سودةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **كانت** متنقبةً، ولذلك لم يتمكّن عمرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من تمييزها إلا من هيئتها الجسدية، فقال: **"وفي الحديث دليلٌ على أنها كانت متنقبةً، ولِهَذا لم يعرفها عمر إلا من جِسْمِهَا."** (فتح الباري 490/ 8)
- **القرطبي المالكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت 671هـ) أشار إلى أنَّ عدمَ معرفة عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لها إلا بجسمها يُثبتُ تغطيةَ وجهها، فقال: **"وفيه أنها كانت متنقبةً، فلم يتبيَّنْها عمر إلا من خلال جسمها."** (المفهم 372/ 5)
- **البدر العيني الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت 855هـ) نوّه إلى أنَّ عبارةَ عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **"لا تخفى على من يعرفها"** تعني أنَّ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تعرَّف عليها من جسامتها فقط؛ لأنها كانت مُنتقبةً، فقال: **"لأنها كانت متنقبةً."** (عمدة القاري (207/ 12)
- **ابن بطال الحنفي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت 449 هـ) استدلَّ بالحديث على أنَّ النقابَ كان معروفًا بين نساء الصحابة، فقال: **"وفيه دليلٌ على أن النقاب كان معروفًا بين نساء الصحابة."** (شرح صحيح البخاري 120/ 7)

فالحادثةُ تُثبتُ أنَّ نساءَ الصحابةِ كنَّ يُغطينَ وجوهَهنَّ، وأنَّ عمرَ لم يُميِّزْ سودةَ ﵂ إلا بسببِ سترِ وجهها، وهو ما يُعتبرُ دليلًا شرعيًّا على وجوب النقاب.

(3) روى الشيخانِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قالت (وهي تتحدث عن حادث الإفك) كَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي، فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ (غطيت) وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ. (قَوْلُ: إنا لله،وإنا إليه راجعون) (البخاري حديث 4750/ مسلم حديث 2770)

هذا الحديثُ دليلٌ على أن المقصود بحجاب النساء الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو النقاب.

(4) روى البخاريُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

> **يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.** (البخاري حديث 4758)

هذا الحديثُ يوضحُ كيف استجابت نساءُ المهاجراتِ الأوائل لأمر الله تعالى في سورة النور. وقوله (شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ) فيه بيانٌ لحرصهن على الامتثال، حيث:

1. **المُرُوطُ** (جمع مِرْطٍ): هي أثوابٌ صوفية أو قطنية سميكة كانت تُستخدم كلحاف أو غطاء للجسم قبل نزول آية الحجاب. وعند نزول الآية، بادرنَ بقطع هذه الأثواب وتحويلها إلى خُمُرٍ ليستعملنها في الستر.
2. **كيفية الستر** كما فسّرها الأئمة:

- قال **الإمام ابن حجر العسقلاني**: "قوله (فَاخْتَمَرْنَ) أي غطّين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من

الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع" [فتح الباري 8/ 347].

- وأكّد **الإمام البدر العيني الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المعنى بقوله: "قولها (فَاخْتَمَرْنَ بِهَا) أي غطين وجوههن بالمروط التي شققنها" [عمدة القاري 19/ 92].

إن تحويل الصحابيات المروط إلى خُمُرٍ بعد تشقيقها يدل دلالة واضحة على أن الستر الشرعي المطلوب يشمل كلاً من الرأس والوجه، حيث لم يكتفين بمجرد تغطية الرؤوس فحسب، بل تعدين ذلك إلى ستر الوجوه أيضـًا. كما أن فعلهنّ هذا يُعد تطبيقـًا عمليـًا دقيقـًا لآية الحجاب في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، إذ جعلن من قطع تلك الأثواب وتحويلها إلى خُمُرٍ وسيلة عملية لتحقيق الامتثال الكامل لأمر الله تعالى، مما يؤكد شمولية الستر المطلوب شرعـًا.

(5) روى الشيخانِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

أَنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ جَاءَ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا وَهُوَ عَمُّهَا مِنْ الرَّضَاعَةِ بَعْدَ أَنْ نَزَلَ الْحِجَابُ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي صَنَعْتُ فَأَمَرَنِي أَنْ آذَنَ لَهُ. (البخاري حديث 5103/ مسلم حديث 1445).

قال **الإمامُ ابنُ حجر العسقلاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث فِيهِ وُجُوبُ احْتِجَابِ الْمَرْأَةِ مِنَ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ9 ، صـ 56).

لا يُقصد بالاحتجاب هنا مجرد تغطية الوجه - وإن كان داخلاً في مبدأ الحجاب العام عند بعض العلماء - بل المقصود الأعم وهو منع الاختلاط أو الخلوة بالرجال الأجانب، كما يتضح من سياق الحديث حيث امتنعت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن إدخال أفْلَحَ (وهو من محارمها بالرضاعة) حتى يأذن لها النبي ﷺ. وهذا الفهم يؤكده الإمام القرطبي في تفسيره لآية الحجاب (سورة الأحزاب:53) حيث بيّن أنها تدل على منع

الرجال من الدخول على النساء دون حاجز (الجامع لأحكام القرآن 14/ 228). كما أن الإمام ابن عثيمين قد أوضح أن "الاحتجاب أعم من النقاب، فهو يشمل ستر الجسم وعدم الاختلاط"[10]، مما يؤكد أن المقصود بالاحتجاب في هذا الحديث هو الحماية من المخالطة والخلوة بالأجانب أكثر من كونه خاصاً بمسألة تغطية الوجه.

(6) روى الشيخانِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ رضي الله عنه، أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى

---

[10] محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، تحقيق: سلمان بن عبد الله العبودي، ط1، دار ابن الجوزي (الدمام)، 1422هـ، ج5، ص15.

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا. (البخاري حديث2075 / مسلم حديث 2175)

هذا الحديث دليلٌ على أن صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **كانت مستورة الوجه، لأن هذين الرجلين لم يعرفاها**، ولذا حرص النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَرفها لهما، حتى لا يتسرب إلى قلبيهما شيءٌ، وهو يمشي معها ليلاً ليوصلها إلى بيتها. وقد استدل به جماعة من العلماء على وجوب النقاب، رغم وقوع الحادثة ليلاً:

1. **ابن حجر العسقلاني** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت 852هـ)** – فتح الباري :(296 /4)

"وفي الحديث دليل على أن صفية كانت متنقبة، إذ لو كان وجهها مكشوفًا لعرفها الأنصارُ بمجرد الرؤية، خاصة أنها من أزواج النبي ﷺ المعروفات. وقوله: (إنما هي صفية) فيه إشارة إلى أن سترها منع التعرف عليها".

2. **النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت 676هـ)** - شرح صحيح مسلم :(325/ 8)

"حرص النبي ﷺ على تعريفها لهما مع أنها زوجته المشهورة يدل على أنها كانت مستترة الوجه، وإلا لما احتاج إلى التعريف".

3. **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت 751هـ)** - زاد المعاد :(382/ 5)

"هذا من أدلة النقاب، لأن العادة أن الرجل يعرف زوجات النبي ﷺ إذا رآهن، فعدم معرفتهما إياها إلا بعد التعريف يدل على التغطية".

(7) روى الإمام أبو داود في سننه عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

"كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٍ، فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ". (سنن أبو داود)[11]

في هذا الحديث تصف أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كيف كنّ يغطين وجوههن عند مرور الركبان بهن أثناء الإحرام. وهذا الحكم ليس خاصاً بأمهات المؤمنين فحسب، بل يعم جميع النساء كما سيتبين من الحديث التالي.

وروى الإمام مالك عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ أَنَّهَا قَالَتْ:

كُنَّا نُخَمِّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي

---

[11] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب المناسك، باب في المحرمة تغطي وجهها، حديث رقم 1833، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير 2/ 235 : " إسناده حسن، ورجاله ثقات"، وقال المنذري في مختصر السنن " :210/ 3 رواه أبو داود بإسناد جيد".

بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. (إسناده صحيح) (موطأ مالك،كتاب الحج،حديث 16)

تشير أسماء رضي الله عنها – وهي من الصحابيات وليست من زوجات النبي ﷺ – إلى أن تغطية الوجه كانت عادة مستمرة بين نساء الصحابة، مما يدل على أن الحكم عام لجميع المسلمات.

يستفاد من هذين الحديثين دليل قوي على وجوب تغطية الوجه أثناء الإحرام عند وجود الرجال الأجانب القادرين على النظر. وقد حكى الإجماع على هذا الحكم عدد من الأئمة، قال **ابن عبد البر** رحمه الله:

"أجمعوا على أن المرأة تلبس المخيط كله، والخفاف، وأنه لها أن تغطي رأسها، وتستر شعرها، إلا وجهها، فتكسل عليه الثوب سدلاً خفيفًا تستر به عن نظر الرجال." (ابن عبد البر، التمهيد، 4/ 54)

وقال ابن قدامة: **"لا نعلم فيه خلافًا."** (ابن قدامة، المغني، 3/ 291)

ويؤكد **الشيخ عبد العزيز الطريفي** هذه المسألة بقوله:

"تغطية الوجه في الإحرام ثابتة بالنص والإجماع، وهي من محاسن هذا الدين الذي يحفظ المرأة ويصونها."(12)

(8) روى سَعِيدُ بْن مَنْصُور عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

تُسْدِلُ الْمَرْأَةُ جِلْبَابهَا مِنْ فَوْق رَأْسهَا عَلَى وَجْههَا. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ3 ، صـ474) (إسناده صحيح)

(9) روى الحاكمُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

كُنَّا نُغَطِّيَ وُجُوهَنَا مِنَ الرِّجَالِ،وَكُنَّا نَتَمَشَّطُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْإِحْرَامِ. (إسناده صحيح) (إرواء الغليل للألباني جـ4 حديث 1023)

قال الإمامُ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الْعَمَلَ اسْتِمْرَ عَلَى جَوَازِ خُرُوجِ

---

[12] عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، الحجاب في الشرع والفطرة، ط1، دار التوحيد، الرياض، 1432هـ، ص107

النِّسَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْأَسْفَارِ مُنْتَقِبَاتٍ لِئَلَّا يَرَاهُنَّ الرِّجَالُ.

(فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ9 صـ 248)

قال **الإمامُ الغزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ: لم يزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات. (إحياء علوم الدين جـ 2، صـ 316).

(10) روى الترمذيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: يُرْخِينَ شِبْرًا. فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ. قَالَ: فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ. (صحيح الترمذي للألباني حديث 1415) قال الترمذي: في هذا الحديث رخصة للنساء في جر الإزار، لأنه يكون أستر لهن.

قال **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذا الحديث دليلٌ على وجوب ستر قدم

المرأة، لأنه أمر معلوم عند نساء الصحابة، رضي الله عنهم، والقدم أقل فتنة من الوجه والكفين، بلا ريب ،فالتنبيه بالأدنى تنبيه على ما فوقه، وما هو أَوْلى منه بالحكم، وحكمةُ الشرع تأبى أن يوجب ستر ما هو أقل فتنة، ويرخص في كشف ما هو أعظم منه فتنة، فهذا من التناقض المستحيل على حكمة الله وشرعه. (الحجاب لابن عثيمين ص ـ 18).

(11) روى الترمذيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مسعودٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ. (حديث صحيح)

(صحيح الترمذي للألباني حديث 936)

استشرفها الشيطان: جَمَّلَها وزَيَّنَها في نظرِ من يراها من الرجال من غير محارمها.

هذا الحديث دليلٌ على أن جميع بدن المرأة عورةٌ، من رأسها إلى

أقدامها،وذلك لأن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستثن شيئـًا، يجوز للمرأة إظهاره من بدنها.

(12) روى أحمدُ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ الساعدي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِخِطْبَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ. (حديث صحيح) (صحيح الجامع للألباني جـ1 ، حديث 507)

في هذا الحديث بَيَّنَ نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا إثم على الخاطب إذا نظر إلى المرأة التي يريد أن يخطبها، فدل ذلك على أن غير الخاطب يأثمُ إذا نظر إلى المرأة الأجنبية، وكلنا يعلم أن مقصود الخاطب الذي يريد الجمال، إنما هو جمال الوجه غالبـًا.

(13) روى ابنُ ماجه عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ لَهُ امْرَأَةً أَخْطُبُهَا فَقَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا. (سنن ابن ماجه)[13]

هذا الحديث يدل على وجوب ستر وجه المرأة عن الأجانب، لأن المرأة المخطوبة كانت مستورة الوجه، ولو كان وجهها مكشوفاً لما أمره النبي ﷺ بالنظر إليها. وهذا الاستنباط ذكره جمع من العلماء:

1. **الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت 751هـ) في زاد المعاد** :(4 /284)

"في الحديث دليل على أن نساء الصحابة كن يغطين وجوههن، وإلا لما احتاج الخاطب إلى النظر الخاص"

2. **الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت 852هـ) في فتح الباري** :(9 /181)

"قوله (انظر إليها) يفيد أن النظر ليس متاحًا دائمًا، بل يحتاج إلى إذن خاص لوجود الحجاب"

---

[13] أخرجه ابن ماجه (1865)، وأحمد (4/ 247)، والترمذي (1087) وحسنه، والحاكم (2/ 194) وصححه على شرط مسلم، وابن حبان (9/ 386) وقال: "صحيح"، والذهبي وافقه. إسناده صحيح رجاله ثقات.

3. **شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت 728هـ) في مجموع الفتاوى** :(22/ 271)

"لو كانت المرأة تظهر وجهها عادة لما كان هناك معنى لأمره ﷺ بالنظر عند الخطبة"

الملخص:

والغرض من النقاب هو إتمام الكمال للمرأة. فهو أولى لها وأقرب إلى مقاصد الشرع وهو درء عن الفتنة. النقاب يقطع طريق من يتبعون شهواتهم. واستنادا إلى مقاصد الإسلام، فإن تغطية وجه المرأة بالنقاب هو قاعدة عامة عندما تواجه رجالا أجانب أو عندما تخرج في الأماكن العامة. و ذكر ذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه إذا تأملنا السفور وكشف المرأة وجهها للرجال الأجانب وجدناه يشتمل على مفاسد كثيرة وإن

قدر فيه مصلحة فهي يسيرة منغمرة في جانب المفاسد. فمن مفاسده[14]:

1 ـ **الفتنة**، فإن المرأة تفتن نفسها بفعل ما يجمل وجهها ويبهيه ويظهره بالمظهر الفاتن. وهذا من أكبر دواعي الشر والفساد.

2 ـ **زوال الحياء عن المرأة** الذي هو من الإيمان ومن مقتضيات فطرتها. فقد كانت المرأة مضرب المثل في الحياء. "أشد حياءً من العذراء في خدرها"، وزوال الحياء عن المرأة نقص في إيمانها، وخروج عن الفطرة التي خلقت عليها.

3 ـ **افتتان الرجال** بها لاسيما إذا كانت جميلة وحصل منها تملق وضحك ومداعبة في كثير من السافرات وقد قيل "نظرة فابتسامة ، فموعد فلقاء". والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق.

---

[14] https: / /islamqa.info /ar /answers /11774/ حكم-تغطية-الوجه-بالادلة-التفصيلية

فكم من كلام وضحك وفرح أوجب تعلق قلب الرجل بالمرأة، وقلب المرأة بالرجل فحصل بذلك من الشر ما لا يمكن دفعه ،نسأل الله السلامة.

4 ـ **اختلاط النساء بالرجال**، فإن المرأة إذا رأت نفسها مساوية للرجل في كشف الوجه والتجول سافرة لم يحصل منها حياء ولا خجل ، وفي ذلك فتنة كبيرة وفساد عريض. عن أبي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ قال:

> **"خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْتَضِنَّ الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ»**. (سنن أبو داود)

وقد ذكر ابن كثير أن النساء كن يلزمن الجدران تطبيقـاً لهذا الأمر حتى يتعلق ثيابهن بها. وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على وجوب ستر الوجه عن الرجال الأجانب، فقال "مجموع الفتاوى" (22/ 110):

وحقيقة الأمر أن الله جعل الزينة زينتين: زينة ظاهرة، وزينة غير

ظاهرة، ويجوز لها إبداء زينتها الظاهرة لغير الزوج وذوات المحارم، وكانوا قبل أن تنزل آية الحجاب كان النساء يخرجن بلا جلباب يرى الرجل وجهها ويديها وكان إذ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين، وكان حينئذ يجوز النظر إليها لأنه يجوز لها إظهاره. ثم لما أنزل الله آية الحجاب بقوله: {يأَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لأَزْوَجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيمًا} حجب النساء عن الرجال.

وخلاصة الحديث أنه يجِبُ على المرأةِ سَترُ بدَنِها كُلِّه أمامَ الرجُلِ الأجنبيِّ، بما في ذلك الوجهُ والكَفَّانِ، وهو مذهبُ الجُمهورِ: **الحنفيَّة** [15]، والأظهَرُ مِن مذهَبِ **الشافعيَّة** [16] والصَّحيحُ مِن مذهَبِ **الحنابلةِ**

---

15 "المبسوط" للسَّرخسي (10/ 119)، "فتح القدير" لابنِ الهُمام (2/ 514)، "البحر الرائق" لابن نُجيم (1/ 284)، "مجمع الأنهر" لشيخِي زادَه (1/ 81)، "حاشية ابن عابدين"(1/ 406) (2/ 528).

16 "تحفة المحتاج" لابن حَجَر الهيتمي (7/ 193)، "مغني المحتاج" للشربيني (3/ 129).

[17]، وهو قولُ جمعٍ مِن عُلَماءِ **المالكيَّة** [18] وغيرِهم، وحُكِيَ فيه اتِّفاقُ المُسلِمينَ كما قال **الإمام الجُوَيني** رَحِمَهُ اللَّهُ:

"مع اتِّفاقِ المُسلمين على منعِ النِّساءِ مِن التبرُّج والسُّفور وتَركِ التنَقُّب". [19]

وقال **ابن رسلان الرملي الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت 844هـ):

"اتفاقُ المسلمينَ على منعِ النِّساءِ أن يخرُجنَ سافراتِ الوجوهِ، لا سيَّما عند كثرةِ الفُسَّاق". [20]

---

17 "الإنصاف" للمَرداوي (1/ 319)، "الإقناع" للحجَّاوي (1/ 88)، "كشَّاف القناع" للبُهُوتي (1/ 266).

18 "تفسير القرطبي" (14/ 243)، "المدخل لإبنُ الحاجِّ" (1/ 242)، "التاج والإكليل" (1/ 502)، "الفواكه الدواني" (2/ 277).

19 "نهاية المطلب في دراية المذهب" (12/ 31)، وأقرَّه الرافعي في "العزيز شرح الوجيز" (7/ 472)، والنووي في "روضة الطالبين" (7/ 21).

20 ابن رسلان، شرح سنن أبي داود، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار المنهاج (الرياض)، 1432هـ، ج10 ص419.

وقال **السَّهارنفورِيُّ الحنفيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ:

"ويدلُّ على تقييدِ كَشفِ الوَجهِ بالحاجةِ: اتِّفاقُ المُسلمينَ على منعِ النِّساءِ أن يخرُجْنَ سافراتِ الوجوه، لا سيَّما عند كثرةِ الفَسادِ وظُهورِه". (21)

لا يُمكِنُ أن يقالَ في هذا الزمان إلَّا بهذا القَولِ؛ لِما في كشفِ الوَجهِ مِن فِتنةٍ لا تخفى على بصيرٍ. وقال ابن رسلان الرَّملي رَحِمَهُ اللَّهُ:

"وقضيةُ كلامِ النَّاظمِ- يعني ابنَ رسلان- حُرمةُ نظر الرجلِ الفَحلِ إلى وجهِ المرأة الأجنبيَّةِ وكفَّيها عند أمنِ الفتنةِ، وهو كذلك- كما في المنهاجِ-؛ لاتفاقِ المُسلمين على مَنعِ النِّساءِ مِن الخروجِ سافراتِ الوجوهِ". (22)

[21] "بذل المجهود شرح سنن أبي داود" (16/ 431).

[22] "غاية البيان شرح زبد ابن رسلان" (ص: 247).

الفصل الثاني

النقاب – في ضوء البحث العلمي الحديث

وجه الإنسان هو خلق الله الرائع ويتكون من 44 عضلة منفصلة. ومن بين تلك العضلات الـ 44، هناك 4 فقط مخصصة للمضغ، في حين تستخدم 40 لتعابير الوجه. تنشط مجموعة من العضلات استجابة للمشاعر الإيجابية بينما تنشط مجموعة أخرى من العضلات استجابة للمشاعر السلبية. تستجيب عضلات وجهنا بشكل طبيعي دون اختيارنا الواعي.[23] إن الوجه الإنساني عجيب، وهذه حقيقة أشار إليها القرآن، سائلاً إيماننا وشكرنا:

[23] HeartMath LLC (2002). The Inside Story - Understanding the Power of Feelings. Boulder Creek, California, HeartMath LLC.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ (سورة البلد: 9،8)

الوجه هو الجزء الأكثر تكريما في جسم الإنسان. ولهذا السبب نهى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) عن ضرب أو لطم وجه أحد من البشر:

إذا قاتَلَ أحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ. (بخاري، مسلم)[24]

قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث:

"قال العلماء: هذا تصريحٌ بالنهي عن ضرب الوجه؛ لأنه لطيفٌ يَجمَع المحاسن، وأعضاؤه نفيسةٌ لطيفةٌ." [25]

لا شك أن جمال البشر يكمن في وجوههم. فهو تجسيد لجمال الإنسان بالإضافة إلى كونه ذا طبيعة سامية. الوجه الإنساني هو المؤشر الأكثر استقرارا

---

[24] أخرجه كتاب الجهاد والسير، باب كراهية ضرب الوجه، حديث رقم 2680؛ صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم 1731.

[25] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ)، ج 12، ص 126، باب النهي عن ضرب الوجه.

للجمال. من أسطورة جمال كليوباترا إلى عارضات الأزياء في صناعة الإعلان، يعد الوجه مصدر الجذب الجنسي وأيقونة الشهرة. في عالم يضم 8 مليارات وجه آخر، فإن وجهنا فريد من نوعه. وهذا ينطبق علينا اليوم كما ينطبق على المومياوات المصرية.

ربما يكون الوجه هو الجزء الأكثر نشاطًا في الجسم، ويستخدم على نطاق واسع في التواصل فيكون لاعبًا مهمًا لتفاعل الفرد مع أفراد المجتمع الآخرين. وهذا ما أكدته الأبحاث **"وجه الشخص يمكن اعتباره عاملاً رئيسيًا في تكوين الانطباع لدى الآخرين"**.[26] وهذا يعني أن الانطباع الذي يتشكل عن الشخص من قبل أفراد المجتمع الآخرين عند مقابلته يتأثر بشدة بملامح وجه ذلك الشخص. الناس يحكمون علينا بناء على وجوهنا. يكشف الوجه عن مشاعرنا وما يدور في أعماقنا حقًا.

26 Berry, D.S. and McArthur, L.Z. (1986). "Perceiving character in faces: The impact of age-related craniofacial changes on social perception." Psychological Bulletin 100: 3-18.

ومن المعروف أيضًا أن النساء في جميع أنحاء العالم ينفقن ملايين الدولارات على جمال وجوههن. تحقق الشركات التي تصنع منتجات "الجمال" أرباحًا هائلة في المبيعات، وفي الواقع فإن المنتجات المستخدمة لتجميل الوجه تفوق بكثير منتجات تجميل باقي الجسم. وهذا في حد ذاته يثبت أن البشر يهتمون دائمًا بمظهرهم.

لما للوجه من أهمية كبيرة في تحديد جاذبية الإنسان، وخاصة جمال المرأة، فإن المرأة المسلمة مطالبة بإخفاء جمالها. و الحجاب جزءٌ من ستر هذا الجمال. وفي هذا الفصل سيتم الحديث عن أهمية الوصية الإسلامية بلبس النقاب في ضوء البحث العلمي.

الحياء و سلوك النساء نفسيًا

وبغض النظر عن مقدار الهندسة الاجتماعية التي توصي بها النسويات، فليس من السهل تغيير طبيعة الجنسين. وأوضح عالم النفس الأمريكي هافلوك إليس معنى "الحياء" على النحو التالي:

"الحياء، والذي يمكن تعريفه مؤقتًا على أنه خوف غريزي تقريبًا يشجع على الإخفاء وعادةً ما يتمحور حول العمليات الجنسية، ومع أن الحياء مشترك بين الجنسين، إلا أنه يخص الإناث بشكل خاص، لذلك يمكن اعتباره تقريبًا الشخصية الجنسية الثانوية الرئيسية للنساء من الجانب النفسي."[27]

تميل النساء إلى الشعور بالحياء أكثر بكثير من الرجال بطبيعتهن. ويتجلى هذا الشعور الأنثوي بالحياء في كل جانب من جوانب الحياة،. وقد اقترحت الكاتبة النسوية إيريس يونج (Iris Young) في مقالتها "الرمي مثل الفتاة" أن "الجهود الرياضية المتفوقة للرجال تظهر في كثير من الأحيان شجاعة أكثر من المهارة الحقيقية والتنسيق". على العكس من ذلك، أشارت إلى أن "النساء غالبـًا ما يقتربن من الارتباط الجسدي بخجل وعدم يقين وتردد."[28] وقالت أيضًا إن

---

[27] Ellis, Havelock (1910). "The Evolution of Modesty". Studies in the Psychology of Sex. Vol. I, Philadelphia, F.A. Davis.

[28] Young, Iris (1990). Throwing like a girl and other essays in feminist philosophy. Indianapolis, Indiana University Press.

افتقار الفتيات الواضح إلى الكفاءة في أنشطة مثل الرمي والضرب في الألعاب يرجع إلى أن الفتيات لا يملن إلى تمديد أجسادهن بالكامل عند المشاركة في الأنشطة البدنية. وذكرت بوضوح أن "مساحة تحيط بنا في الخيال لا نملك حرية تجاوزها؛ المساحة المتاحة لحركتنا هي مساحة ضيقة."[(29)] ما تشير إليه إيريس يونج هنا هو الشعور المتأصل بالخجل والحياء لدى الإناث والذي لا يسمح لهن "بتمديد أجسادهن بالكامل عند المشاركة في الأنشطة البدنية" وتشعر النساء بأنهن "لَسن حرّاتٍ في تجاوز ذلك". بالنسبة للنسويات، قد يكون مثل هذا الشعور بالحياء عائقًا ونقصًا لدى النساء، وهن يقاتلن بكل قوتهن لإزالة شعور الحياء هذا من أذهان النساء. ومع ذلك، فإن الإسلام لا يرى أن هذا الشعور بالحياء هو نقص. يعتبر الإسلام الحياء أثمن ما تملكه المرأة. في الواقع، يعترف الإسلام بوجود "مساحة تحيط بالمرأة في خيالها"، ويحميها ويجعلها مقدسة من خلال أمر النساء المسلمات بارتداء الحجاب والملابس الفضفاضة في الأماكن العامة. ويشيد الإسلام بهذا الشعور الأنثوي

---

[29] المرجع نفسه.

بالحياء. إن الحياء مهم للغاية لدرجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتبر في أحد الأحاديث أن "الحياء" هو السمة البارزة للثقافة الإسلامية:

إنَّ لِكُلِّ دينٍ خُلُقًا، وإنَّ خُلُقَ الإسلامِ الحياءُ (سنن ابن ماجه)[30]

الغرض من النقاب – من منظور أنثروبولوجي

كان الدكتور روبرت مورفي (Robert F. Murphy) عالم أنثروبولوجيا أمريكيًا من جامعة كولومبيا. وقام الدكتور ميرفي وزوجته يولاندا ميرفي (Yolanda Murphy) بعملهما الميداني الأنثروبولوجي في بعض المجتمعات الإسلامية. وفي مناقشة الهدف من وراء النقاب، أشار الدكتور مورفي إلى أنه عندما تغطي النساء في مجتمع ما وجوههم بشكل كامل بحيث لا يمكن رؤية سوى المناطق المحيطة بالعينين والأنف، فإنهم بذلك يقدمون شكلاً رمزيًا من

30 أخرجه ابن ماجه في السنن (4181) – وحسنه المنذري في الترغيب (3/ 274)، والحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (1/ 52) أشار إلى تحسينه.

أشكال المسافة بين وجوههم أنفسهم والآخرين."[31] وكتب الدكتور مورفي أيضًا: "إن الحجاب، على الرغم من أنه لا يوفر العزلة أو إخفاء الهوية، فإنه يمنح مرتديه ميزة إخفاء الوجه ونوعًا من الخصوصية ويسمح له بالوقوف بمعزل إلى حد ما عن مخاطر التفاعل الاجتماعي مع البقاء جزءًا منه".[32]

وبالمثل، فقد تم توضيح الفوائد الاجتماعية لنقاب من قبل علماء الاجتماع المسلمين. استمع، على سبيل المثال، إلى سيد أبو الأعلى المودودي الذي أشار إلى أهمية النقاب من وجهة نظر أنثروبولوجية في كتابه "الحجاب":

وإن الوجه هو المظهر الأكبر للجمال الخلقي والطبيعي في الانســان. فهو أكثر مفاتن الجمال الإنســاني جذبًا للانظار واســتهواءً للنزعات ثم هو العامل الاقوى للجاذبية الجنســية بين الصــنفَين. ولفَهم هذه الحقيقة لا تحتاج الى تعمُّق في علم النفس، بل ارجع إلى ضــميرك،

[31] Murphey, Robert F. (Dec., 1964). “Social Distance and the Veil”. American Anthropologist **66**(6) Part 1, 1257-1274.

[32] المرجع نفسه.

وإلى عينيك تستفتيهما، وإلى تجاربك النفسية تستنبط منها النتائج، وجنِّب نفسك آفة النفاق، فإن المنافق إن رأى حتى وجود الشمس ضارّاً بمقاصده، لم يتردّد في إِنكاره بالمرَّة في رائعة النهار، بل لازِم جانبَ الصدق فان فعلت، لم تجد بدَّاً من الاعتراف بأن هذا الجمال الطبيعي الذي قد وضعه الله في وجه الانسان هو أكثر ما يستهوي الناظر، وهو أكبر عامل للتحريك الجنسي(Sex Appeal) . ثم هل رأيتَ أنك إن كنتَ تريد أن تتزوج بفتاة وأردتَ أن تُلقي عليها نظرك قبل أن تعزم على الأمر بصفةٍ نهائيةٍ، فقل لي بالله ربك! إلامَ تنظر فيها لتقبلها أو ترفضها؟ وهَبْ أن لنظرك إليها صورتين اثنتين: أولاهما أن تخرج لك الفتاة في كل زينتها إلا وجهها. والثانية أن تُريك وجهها وحده من نافذةٍ دون سائر جسمها. فأيُّ صورةٍ من هاتين تختارها لانتخاب الفتاة لنفسك؟ اصدقني بالله، ألا يكون جمال الوجه آثَرَ وأرجحَ عندك من جمال سائر الجسم؟

وإذ تقرَّرتْ هذه الحقيقةُ، فلنمضِ في البحثِ قُدُماً. فنقولُ إنه إن لم يكنْ منعُ الفوضى الجنسيةِ ومنعُ الهيجانِ الشهوانيِّ المتطرِّفِ في المجتمعِ من المقصودِ المنشودِ، فلتكنِ المرأةُ إذاً في حِلٍّ من الكشفِ عن نحرِها وذراعيْها وساقيْها وفخذيْها، دعْ عنك وجهَها وحدَه، كما هو عليه الحالُ في الحضارةِ الغربيةِ لهذا العهدِ. ولا حاجةَ لوضعِ تلك الحدودِ والقيودِ التي قد مرَّ ذكرُها في معرضِ قانونِ الحجابِ الإسلاميِّ. ولكنه إن كان المقصود هو سدّ هذا الطوفان ودفع غائلته عن المجتمع، فأيُّ سخافةٍ أكبر من أَنْ تُوصد في وجهه صغار المنافذ ويُفتح له بابٌ رئيسيٌّ كبير!! (33)

الوجه الإنساني – أهم عامل محدد للجاذبية الجسدية

تتكون الجاذبية الجسدية للشخص من مكونات مختلفة مثل وجه الإنسان، وشكل الجسم، ونمط الشعر ولونه، والملابس وغيرها. وقد قام

[33] الحجاب، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر العربي الطبعة: الأولى سلسلة: ذخائر الفكر الإسلامي 11

علماء الاجتماع بدراسة محددات الجاذبية الجسدية. في إحدى الدراسات التي نُشرت في مجلة "الشخصية وعلم النفس الاجتماعي"، تم تقييمها لمعرفة ما إذا كانت جاذبية الوجه هي التي تساهم بشكل أكبر في الجاذبية العامة أم أن جاذبية الجسد هي التي تساهم بشكل أكبر. استخدم عالم النفس كيم ت. مويسر (Kim T. Mueser) بجامعة إلينوي (شيكاغو) وزملاؤه العلماء واحدًا وعشرين مُرَجَّحِاً من الجامعة مشاركين في هذه الدراسة الذين عُرضت عليهم صور خمس عشرة طالبة بيضاء. تم تقسيم المُرَجَّحِين الذكور إلى ثلاث مجموعات وتم توزيعهم عشوائيًا على إحدى المجموعات الثلاث. وقاموا بتقييم الجاذبية الجسدية للإناث بناءً على صور الشخص بأكمله، أو الوجه فقط، أو الجسم فقط. قام المُرَجَّحِون الذكور في كل مجموعة (7 ذكور في كل مجموعة) بتقييم شرائح من المواضيع النسائية التي تم عرضها واحدة تلو الأخرى لمدة 15 ثانية على شاشة أمام الغرفة. تم إجراء تقييمات الجاذبية الجسدية على مقياس ليكرت (Likert Scale) المكون من 10 نقاط.[34]

---

[34] Mueser, Kim T., Grau, Barry W., Sussman, Steve & Rosen, Alexander J. (1984). "You're Only as Pretty as You Feel: Facial

كشفت نتائج دراسة مويسر أن وجه الإناث في الدراسة كان مؤشرا أكثر أهمية للجاذبية العامة من الجسم. ومن ثم فإن للوجه الإنساني أهمية كبرى في الجذب والتفاعل بين الأشخاص في المجتمع. إذا تم حجب الوجه الأنثوي عن رؤية الرجال، فسيؤدي ذلك إلى خلق مسافة اجتماعية بين الرجل والمرأة، وسيكون من الصعب على الرجل استغلال المرأة جسديًا وبصريًا. وبناء على هذا البحث يمكن بسهولة فهم الحكمة من الأمر الإسلامي بتغطية وجه المرأة أمام الرجال الأجانب.

علاوة على ذلك، يمكن فهم علاقة الوجه الإنساني بالجاذبية الجسدية (خاصة في حالة الإناث) من خلال البحث الذي استشهدت به فلورنس موناهان في كتابها "النساء و الجريمة". كانت الآنسة موناهان أَخْصائية إِدَارَةِ السُّجُون الأمريكية الرائدة التي عملت مشرفة على سجن ولاية مينيسوتا للمجرمات. كتبت الآنسة موناهان في كتابها أنها لاحظت دائمًا في السجون أن النساء الجميلات يُدَنَّ أقلَّ بالجرائم المتهمات بارتكابها مقارنة بالنساء ذوات الوجه

Expression as a Determinant of Physical Attractiveness." <u>Journal of Personality and Social Psychology</u> **46**(2): 469-478.

العادي.[35]

يعد الوجه البشري أيضًا أهم عامل محدد للعمر المدرك، وللجاذبية الجسدية الملموسة. وقد أجريت دراسة مهمة في هذا السياق من قبل علماء النفس كاثلين م. كورثاس (Kathleen M. Korthase) و إيرين ترينهولمي (Irene Trenholme) من كلية إلمهرست في إلينوي (الولايات المتحدة الأمريكية). كان الغرض الرئيسي من هذه الدراسة، التي نشرت في عدد عام 1982 من مجلة "المهارات الإدراكية والحركية"، هو تحديد ما إذا كانت هناك علاقة عكسية بين العمر المدرك والجاذبية الجسدية المتصورة، أي هل يرى الناس الوجوه الأكبر سنا على أنها أقل جاذبية؟ في هذه الدراسة، شاركت أربع مجموعات من 15 شخصًا: الذكور والإناث البالغين (تتراوح أعمارهم من 31 إلى 38 عامًا) والمراهقين من الذكور والإناث (تتراوح أعمارهم من 14 إلى 16 عامًا) عندما طُلب منهم ترتيب مجموعتين من الصور الفوتوغرافية لـ وجوه الذكور والإناث حسب الجاذبية الجسدية. وقد وجد في الدراسة أنه كلما

---

35 Monahan, Florence (1941). Women in crime. New York, Washburn.

زاد العمر المتصور للذكر أو الأنثى في الصورة، انخفضت جاذبيتهم الجسدية الملحوظة.[36] واعتمدت هذه الملاحظة فقط على نسبة الجمال إلى أحد المحفزات الوجهية، مما يدل على أهمية الوجه الإنساني في تحديد الجمال الجسدي. ومن هنا يمكن أن نفهم بسهولة لماذا سمح الإسلام للنساء المسنات بكشف وجوههن أمام الرجال الأجانب. و مع تقدم الشخص بالسن، تتضاءل جاذبية وجهه.

ومن النتائج المهمة الأخرى في هذه الدراسة أن جميع المشاركين الذكور والإناثأظهروا اتفاقًا أكبر على ما يشكل الجاذبية الجسدية للإناث مقارنة بما يشكل الجاذبية الجسدية للذكور".[37] تدعم هذه الدراسة مرة أخرى أهمية النقاب للنساء في المجتمع لأن مساهمة جمال الوجه في الجاذبية الجسدية تكون أكبر في حالة النساء مقارنة بالرجال. ومن ثم، يمكن بسهولة فهم الوصية

---

[36] Korthase, Kathleen M. & Trenholme, Irene (1982). "Perceived Age and Perceived Physical Attractiveness." Perceptual and Motor Skills **54**: 1251-1258.

[37] المرجع نفسه.

الإسلامية للنساء وحدهن بتغطية وجوههن عند خروجهن في المجتمع.

ماذا تريد النساء – ماذا يريد الرجال

ما هو المعيار الذي يعتمده الرجل والمرأة في اختيار الزوج؟ أظهرت العديد من الدراسات البحثية العلمية أن معيار تفضيل الشريك الذي يستخدمه الرجال يختلف تمامًا عن المعيار الذي تستخدمه النساء. في دراسة نشرت في عدد مارس 2001 من مجلة "التطور والسلوك البشري"، طلب الدكتور روبرت مونتغمري (Robert Montgomerie) و الدكتورة ديبورا هيوم (Deborah Hume) من جامعة كوينز (Queens University) في أونتاريو (كندا) من مئات المُرَجِّحِين تقييم مدى جاذبية وجوه مختلفة من الجنس الآخر، والتي تظهر جميعها بدون مكياج أو مجوهرات. ومع تمشيط الشعر إلى الخلف. أعطى الرجال أعلى التقييمات للنساء الجميلات وحسناوات المظهر. ومع ذلك، بالنسبة للنساء، كان العامل الأكثر أهمية في الجاذبية هو الوضع

الاجتماعي والاقتصادي المتصور للرجال.(38)

توضح الدكتورة نانسي إتكوف (Dr. Nancy Etcoff)، أستاذة علم النفس في كلية الطب بجامعة هارفارد، في كتابها "البقاء للأجمل: علم الجمال" (Survival of the Prettiest: The Science of Beauty). بقولها:

> **"يقيّم الناسُ الرجالَ على أساس دخلهم و وضعهم المهني كما يقيّمون النساءَ على أساس جمالهن."(39)**

في دراسةٍ ثورية أجراها عالم النفس دكتور ديفيد إم. باس عام 1989 (الأكبر من نوعها في ذلك الوقت)، تم تحليل تفضيلات اختيار الشريك الزوجي عبر 37 ثقافةً تشمل 33 دولةً في ست قارات. وشمل البحث أكثر من 10,000

38 Hume, Deborah K. & Montgomerie, Robert. (March 2001) “Facial attractiveness signals different aspects of ‘quality’ in women and men.” Evolution & Human Behavior **22 (2)**: 93–112.

39 Etcoff, Nancy (1999). Survival of the Prettiest: The Science of Beauty. New York, Anchor Books.

مشارك من دول متنوعة بما فيها إيران والبرازيل والصين والولايات المتحدة، وكشف عن وجود فروق عالمية بين الجنسين في معايير اختيار الشريك.

أظهرت النتائج أن الرجال يولون أولويةً ثابتةً للجاذبية الجسدية والحداثة في العمر عند اختيار الشريكة - وهي صفات مرتبطة بالخصوبة والقيمة الإنجابية. في المقابل، ركزت النساء على الجوانب المالية والقدرة على الكسب، مما يشير إلى تفضيلٍ عابرٍ للثقافات نحو اكتساب الموارد. وقد ثبتت هذه الأنماط على الرغم من اختلاف معايير الجمال بين الثقافات، كما لاحظ دكتور باس:

"يقّدر الرجال الجاذبية الجسدية... أكثر من النساء - فروق بين الجنسين تظهر عموميةً ملحوظةً عبر الثقافات".[40]

إن المنهجية المتقنة والعينة العالمية للدراسة تجعل استنتاجاتها ذات أهمية

[40] Buss, D. M. (1989). "Sex differences in human mate preferences: Evolutionary hypotheses tested in 37 cultures." Behavioral and Brain Sciences **12**: 1-49.

خاصة لفهم الأنماط العالمية في اختيار الأزواج.

تشتمل سمات المظهر الجسدي الأنثوي المرتبطة بالشباب على بشرة وجه ناعمة وجسم رشيق وشعر لامع وعيون مشرقة وشفاه ممتلئة والتي ثبت أنها أقوى الإشارات إلى القدرة الإنجابية للإناث، كما أشار عالم الأنثروبولوجيا الدكتور دونالد سيمونز (Donald Symons) في كتابه "تطور الحياة الجنسية البشرية".[41]

في سياق متصل، أجرى عالم الأنثروبولوجيا جون مارشال تاونسند أبحاثاً مهمة نُشرت في كتابه "ما تريده النساء - ما يريده الرجال" (1998)، حيث كشفت تجاربه عن اختلافات جوهرية بين الجنسين في معايير اختيار الشريك. فقد عرض على النساء صوراً لرجال يرتدون ملابس تنم عن مكانة اجتماعية عالية (بدلات رسمية) أو زي موظفي مطاعم وجبات سريعة. وأظهرت النتائج

41 Symons, Donald. (1979). The Evolution of Human Sexuality. New York, Oxford University Press.

أن النساء فضلن الرجال متوسطي الجمال لكن بارتداء الملابس الرسمية على الرجال الوسيمين بزي الموظفين.

وفي المقابل، عندما خضع الرجال لتجربة مماثلة، اختاروا النساء الأكثر جمالاً بغض النظر عن ملابسهن أو مكانتهن الاجتماعية. كما أكدت دراسة أخرى شملت 160 طالب قانون هذه النتائج، حيث أظهر الرجال استعداداً أكبر لمقابلة النساء الأكثر جاذبية بغض النظر عن مكانتهن الاجتماعية.[42]

توفر هذه الأبحاث أدلة علمية على أن النساء يولين أهمية أكبر للمكانة الاجتماعية والموارد المالية عند اختيار الشريك، بينما يركز الرجال أكثر على الجمال الجسدي. هذه النتائج تتوافق مع المبادئ الإسلامية التي تؤكد على التكامل بين أدوار الجنسين في مؤسسة الزواج.

---

[42] Townsend, John Marshall (1998). What Women Want – What Men Want: Why the Sexes Still See Love and Commitment So Differently. New York, Oxford University Press.

ومن ثم، لم يتغير الكثير منذ أيام سندريلا. في قصة سندريلا القديمة (story of cinderella)، اختار الأمير سندريلا بسبب جمالها رغم أنها فقيرة، بينما تجاهل أخواتها غير الشقيقات اللاتي كن أغنياء لكنهن لم يكن جميلات. وحتى اليوم هذا صحيح. يفضل الرجال جمال وجه المرأة أكثر عندما يريدون اختيار زوجة المستقبل. لقد سبق أن أوضحنا في القسم السابق أن الوجه البشري هو أهم عامل محدد للجاذبية الجسدية والجمال.

تظهر الأبحاث المذكورة أعلاه بالإضافة إلى الأبحاث التي أجريت على مختلف ثقافات العالم بوضوح أن الرجال في جميع الثقافات يهتمون أكثر بالمظهر الجميل للمرأة (والتي يعتبر الوجه هو العامل الأكثر أهمية فيها) في حين أن النساء لا يهتمون بذلك. وهنا مرة أخرى، يمكن فهم حكمة الوصية الإسلامية بغطاء الوجه (النقاب) للنساء عندما يقول القرآن للنساء:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ (سورة الأحزاب: 59)

وقد أجرى الدكتور تاونسند مقابلات متعمقة أجراها مع 50 طالب طب، من الذكور والإناث. وفي تلك المقابلات:

"ذكر 85٪ من الرجال أن الجاذبية الجسدية هي السمة الأكثر أهمية بالنسبة لهم في اختيار زوجة المستقبل. وعلى العكس من ذلك، أجاب 10٪ فقط من النساء بهذا الرد. ولم تعرب امرأة واحدة عن رغبتها في الزواج من رجل أقل دخلاً منها."[43]

[43] المرجع نفسه.

وهذا بالضبط ما يقوله القرآن عندما يتحدث عن الجنسين، مع مراعاة طبيعة المرأة:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ (سورة النساء: 34)

النساء بفطرة لا يرتحنَ إلى تحديق الرجال

الحياء متأصل في طبيعة المرأة لدرجة أنها لا تحب أن يحدق بها الرجل. أظهرت الأبحاث أن العديد من النساء يقلن إنهن يشعرن "بالتشييء" بسبب نظرة الرجل. في دراسة نشرت عام 1995 حول ملكية الفضاء وتأثيرها على المشاركة الترفيهية للشابات، حاولت عالمة الاجتماع الأسترالية الدكتورة كاندي جيمس (Dr. Kandy James) من جامعة إديث كوان (أستراليا) قياس مواقف الفتيات تجاه مختلف المواقع العامة والخاصة للترفيه في المجتمع. شملت دراستها 276 فتاة في الخامسة عشرة من العمر من 10 مدارس ثانوية متنوعة اجتماعيًا

واقتصاديًا في غرب أستراليا، فيما يتعلق بما يشعرن به تجاه 20 مكانًا ترفيهيًا مدرجًا. و وجدت الدراسة أن الأماكن التي شعرت فيها الفتيات بأكبر قدر من الوعي الذاتي هي الأماكن التالية: ملاعب كرة السلة المدرسية، وحمامات السباحة العامة، والنوادي الصحية، والشواطئ. إحدى النتائج المثيرة للاهتمام للغاية التي توصلت إليها الدراسة هي تصنيف الفتيات للأماكن الترفيهية التي سيستخدمنها أكثر إذا لم يكن هناك ذكور. وبناءً على تحقيق جيمس، فإن الأماكن الأربعة الأولى التي أدرجتها الفتيات هي ملاعب كرة السلة المدرسية، وحمامات السباحة العامة، وقاعات الترفيه، وصالات الألعاب الرياضية المدرسية.[44،45]

---

[44] James, Kandy (1995). Ownership of space: Its impact on recreational participation of young women. Perth, Western Australia, Edith Cowan University, Dept. of Leisure Sciences.

[45] James, Kandy (1998). "Deterrents to active recreation participation: Perceptions of year 10 girls." Health Promotion Journal of Australia **8**(3): 183-189.

وبالمثل، بحثت دراسة أخرى أجرتها "اتحادات الفتيات في الفضاء" في علاقات الشابات بالأماكن العامة في بريسبان (أستراليا)، ووجدت أن الفتيات، في الأماكن العامة، يعانين من الخوف وخطر التعرض للإيذاء، وأن هذه المشاعر تقيد أنشطتهن الترفيهية في تلك الأماكن .[46]

وفي دراسة متابعة نشرت في مجلة "أبحاث الترفيه" عام 2000، قام الدكتورة كاندي بالتحقق من مشاعر الفتيات عند حمامات السباحة العامة، أي لماذا شعرت الفتيات بالاحراج الشديد وماذا فعلن في حمامات السباحة للتغلب على إحراجهن. بالنسبة للعديد من الفتيات، ساهم الشعور بأن الرجال يراقبونهن في عدم ارتياحهن. واعترفت كريستا (Krista)، وهي فتاة مشاركة في الدراسة، بأنها شعرت بشعور غريب في دروس السباحة المدرسية:

[46] Girls in Space Consortia (1997). Phase 1 report for the girls in space consortia research: A Project investigating young women's relationships to public space in Brisbane. Brisbane, Backbone Youth Arts Inc.

"شعرت وكأن الناس يحدقون بي. أنا أكره زي السباحة الخاص بي منذ البداية. أشعر وكأنني عارية عندما أرتدي زي السباحة. أنا أكره حقيقة أن لديك ساقين ظاهرتين وذراعين ظاهرتين وأن جسدك مراقب من قبل أشخاص آخرين."[47]

وجدت إحدى المشاركات، فانيسا (Vanessa)، أن فصول السباحة المختلطة بين الجنسين في المدرسة محرجة للغاية: **"لقد كرهت الذهاب إلى حمام السباحة... شعرت بالغرابة حقًا حول [الذكور]"**. أبدت فتاة أخرى، تدعى فال (Val)، قلقاً على الفتيات الأخريات بشأن مراقبتهن من قبل أشخاص لا يعرفنهن. قالت: **"إذا كنتِ بالأسفل [في حوض السباحة] ورأيتِ شخصًا غريبًا تمامًا، فإنه يحدق بك فقط فستشعري أنك غريبة حقًا."**

---

[47] James, Kandy (2000). ""You can feel them looking at you": The experiences of adolescent girls at swimming pools." Journal of Leisure Research **32**(2): 262-280.

ورغم أن هناك بعض الفتيات اللاتي يصنفن على أنهن "مُنجِزات" ويعتبرن أنفسهن "بنات مسترجلات" ولا يشعرن بأي حرج في وجود الذكور في حمامات السباحة، إلا أن غالبية الفتيات كن إما **"متنازلات"** (**فتيات اللواتي حاولن التغطية أجسادهن بحضور الذكور**) أو **"المتجنبات"** (**الفتيات اللواتي تجنبن استخدام حمامات السباحة المختلطة تمامًا**). المجموعة الأكبر، أي المتنازلات، كانت تتألف من الفتيات اللاتي يشعرن بالحرج في حضور الذكور، وبالتالي طورن "استراتيجية تغطية أنفسهن حتى آخر لحظة ممكنة". ما فعلته معظم الفتيات هو "لف المناشف حولهن وعندما يَكُنَّ على وشك القفز في حوض السباحة، يُلقينَ المناشف بسرعة كبيرة ثم يقفزن قبل أن يتمكن أي شخص من النظر إلى أجسادهن."[48]

[48] المرجع نفسه.

وكان الإحراج الذي شعرت به الفتيات في حضور الذكور كبيرا لدرجة أن بعض الفتيات كن أقل قلقا بشأن الغرق في الماء من مراقبتهن من قبل الذكور. وأشار الدكتورة جيمس كاندي:

> **"بالنسبة لمعظم الفتيات اللاتي أجريت معهن مقابلات، رأت هؤلاء الفتيات أن البقاء في الماء أقل تهديدًا من تعرض أجسادهن للآخرين [الذكور] خارج الماء."(49)**

تم نشر دراسة أخرى أجراتها الدكتورة كاندي في مجلة ACHPER Healthy Lifestyles Journal في عام 1999. وكان عنوان الدراسة: "أشعر بالحرج حقًا أمام الرجال!: الفتيات المراهقات وكرة السلة في المدارس غير الرسمية". كان الغرض من هذه الدراسة هو تحديد سبب عدم رغبة الفتيات في لعب كرة السلة في حضور الذكور. اعتقد ما يقرب من نصف الفتيات في الاستطلاع الأصلي أنه سيكون من الجيد أن يكون

---

49 المرجع نفسه.

لدى المدارس مناطق منفصلة للجنسين لممارسة الألعاب الرياضية للفتيات. وأكدت بيث (Beth)، إحدى الفتيات المشاركات في الدراسة، أنها تؤيد الفصل بين الذكور والإناث لأنها تعرف فتيات **"يحببن كرة السلة حقًا ولكن... لا يرغبن في الذهاب واللعب مع الذكور... من المحتمل أن يكون ذلك مفيدًا لهم أو حتى [بالنسبة لي] إذا أردت تجربته، أن نحظى بوقت بمفردنا... ربما [لن] تشعرنَ بالتهديد"**. كاي (Kaye)، فتاة أخرى اعتقدت أن الفصل بين الذكور والإناث سيكون جيدًا **"إذا كنت تريد ممارسة التمارين الرياضية بجدية... والحصول على اللياقة البدنية... ولا تريد حقًا أن يحدق بك جميع الذكور..."**.(50)

وبالمثل، وجدت دراسة نشرت في عدد صيف 1998 من مجلة "أبحاث الترفيه" حول مواقف الفتيات المراهقات الأمريكيات تجاه برامج

[50] James, Kandy (1999). ""I feel really embarrassed in front of the guys!": Adolescent girls and informal school basketball." ACHPER Healthy Lifestyles Journal **46**(4): 11-16.

الترفيه في الهواء الطلق اتفاقا بين الفتيات المشاركات على أن البرنامج المنفصل من شأنه أن يزيد المشاركة بين الفتيات:

"إذا كان الأمر كله متعلق بالفتيات ورأيت بعضهن يفعلن ذلك، فسأشعر بالثقة لأنهن فتيات وأنا فتاة ، وسأقول: "أستطيع أن أفعل ذلك،" على عكس اذا رأيت الذكور يفعلون ذلك، "فلن أشعر بالثقة في قدرتي على القيام بذلك".[51]

صحيح أن الفتيات المشاركات في دراسة حمام السباحة المذكورة أعلاه كن يرتدين ملابس سباحة لا يحببن أن يحدق الرجال بهن ولكن علينا أيضًا أن نفهم أن هذا البحث قد أجري في دولة غربية علمانية حيث الفتيات لقد تم تكييفهم بشكل كلاسيكي منذ طفولتهم ليفقدوا أي إحساس بالحياء. تتعرض هؤلاء الفتيات لأجواء مفتوحة جنسيًا منذ

[51] Culp, Rocklynn H. (Summer 1998). "Adolescent girls and outdoor recreation: a case study examining constraints and effective programming." Journal of Leisure Research **30**(3): 356-379.

سنواتهن الأولى. وما زلنا نلاحظ أن غالبية الفتيات في هذه الدراسات البحثية لم تعجبهن البيئة المختلطة بين الجنسين. لم يحبوا أن يحدق الذكور في أجسادهم. قالت إحدى الفتيات: **"يمكنك أن تشعر بهم ينظرون إليك".**[52] لقد فَضلنَ بل وحاولن تغطية أجسادهن أمام الذكور. ومن ثم، حاولت تلك الفتيات أن يجعلن أنفسهن أقل ظهوراً للجمهور من خلال تغطية أجسادهن. هذه هي فكرة الحجاب الإسلامي بأكملها، وهي أن المرأة يجب أن تغطي جسدها في الأماكن العامة، في حضور الرجال غير محرم.

[52] James, Kandy (2000). ""You can feel them looking at you": The experiences of adolescent girls at swimming pools." Journal of Leisure Research **32**(2): 262-280.

الحماية من نظرات الذكور تنقذ الفتيات من عقدة النقص – أدلة علمية اجتماعية

في بيئة مختلطة بين الجنسين عندما لا تكون المرأة في مأمن من أنظار الذكور، تشير الأبحاث العلمية التي أجراها علماء النفس الاجتماعي إلى أن النساء يبنين قيمتهن الذاتية على مدى جمالهن. ولعل دراسة التعليم المختلط مقابل الأحادي يعطي مؤشرًا جيدًا في هذا الباب. وبالفعل، هذا ما فعله الباحثون في أيرلندا الشمالية. أجرى عالما النفس جاكلين جرانليز (Jacqueline Granleese) وجوزيف ستيفن (Joseph Stephan) دراستهما في بعض أحياء بلفاست. لقد درسوا تقدير الذات لدى الفتيات في المدارس المختلطة وكذلك في المدارس غير المختلطة. لم تكن هناك فروق تعليمية أو اجتماعية واقتصادية بين المجموعتين المدروستين. لقد طرحوا على الفتيات في كلا النوعين من المدارس أسئلة مختلفة: هل أنتِ طالبة جيدة؟ هل لديك الكثير من

الأصدقاء الإناث؟ هل انتِ جيدة في الرياضة؟ هل تعتقد أنكِ جميلة؟ هل لدى والديك وظائف جيدة؟ بعد ذلك، تم ربط إجابات كل فتاة مع تقدير تلك الفتاة لذاتها، كما تم قياسه من خلال قائمة جرد منفصلة.

وأظهرت نتائج الدراسة أن الفتيات في المدارس المختلطة يعتمدن في تقديرهن لذاتهن فقط على مظهرهن، هل هن جميلات أم لا؟ لا يهم إذا كانوا يحصلون على درجات A في الفصل أو يفشلون في الفصل، سواء كان لديهم الكثير من الأصدقاء أم لا، وما إلى ذلك. بالنسبة للفتيات الملتحقات بالمدارس المختلطة، فإن القضية الأكثر أهمية بالنسبة لهن هي كيف تبدو، وليس ما هو سلوكك أو تَعَامُلك أو ما هو شخصيتك.

من ناحية أخرى، فإن الفتيات في المدارس غير المختلطة يعتمدن على تقديرهن لأنفسهن ليس فقط على ما إذا كن جميلات أم لا، ولكن أيضًا على ما إذا كان لديهن سلوك و تَعَامُل جيد، وأداء مدرسي، ودخل الأسرة وعوامل أخرى. ومن ثم، تصبح الفتيات في البيئة المختلطة أكثر وعيًا بمظهرهن الجسدي وجمالهن، وأكثر عرضةً للمعاناة من عقد

النقص بشأن شخصياتهن، لأنهن يبنين احترامهن لذواتهن في المقام الأول على الطريقة التي يُنظر إليهن بها. وعلى العكس من ذلك، فإن الفتيات في المدارس المنفصلة يبنين احترامهن لأنفسهن على جوانب أخرى أعمق من شخصيتهن مثل السلوك والتَعَامُل والذكاء وما إلى ذلك.[53]

الدراسة المذكورة أعلاه ليست الوحيدة التي تظهر أن البيئة المختلطة بين الجنسين تخلق عقدة النقص وتزيد الوعي لدى الفتيات بمظهرهن. في الواقع، توصل عالم الاجتماع بجامعة جونز هوبكنز، الدكتور جيمس كولمان (Dr. James Coleman)، إلى نفس الاكتشاف في الستينيات، حيث أجرى مقابلات مع الطلاب و طالبات في العديد من المدارس الثانوية غير المختلطة وكذلك المدارس الثانوية المختلطة في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تم ذكر النتائج التي توصل إليها كولمان في كتابه

---

53 Granleese, Jacqueline & Stephen, Joseph (Dec. 1993). "Self-perception Profile of Adolescent Girls at a Single-sex and a Mixed-sex School." Journal of Genetic Psychology **154**(4): 525-530.

الشهير "مجتمع المراهقين: الحياة الاجتماعية للمراهق وأثرها في التعليم". وجدت الدكتوركولمان أنه في المدارس المختلطة، فإن أكبر اهتمام للطلاب، وخاصة الفتيات، هو من هو الأفضل مظهرًا ومن هو الأكثر شعبية. عندما سُئلت الفتيات في المدارس المختلطة عن طموحاتهن المهنية، ذكرن أن يصبحن عارضة أزياء أو ممثلة. من ناحية أخرى، تطمح الفتيات في المدارس غير المختلطة إلى البحث عن مهنة في مجال الأعمال التجارية أو العلوم.[54]

وفقًا لبحث الدكتور كولمان، في البيئة المختلطة بين الجنسين في المدارس المختلطة، تصبح الفتيات خجولات بشأن جمالهن الجسدي لدرجة أن الفتيات يشعرن أن هذا هو الأساس الوحيد الذي يمكن أن يتفوقن عليه. مثل هذه المشاعر لدى الفتيات لها آثار عميقة على نفسيتهن عندما يصبحن موضوع أنظار الذكور كما هو الحال في

[54] Coleman, James S. (1961). The Adolescent Society: The Social Life of the Teenager and its Impact on Education. New York, The Free Press.

المدارس المختلطة. تصبح الفتيات أقل رضًى عن أنفسهن، وبالتالي يعانين من عقدة النقص، خاصة إذا كن يعتقدن أنهن لسن جذابات جسديًا مثل الفتيات الأخريات. يلاحظ الدكتور كولمان:

"إن التركيز على الشعبية لدى الجنس الآخر له تأثيرات أخرى على الفتيات، والتي ليس لدينا سوى القليل من المعرفة عنها. أحد التأثيرات هو مشاعرها تجاه نفسها. قد نفترض أنه إذا وجدت الفتاة نفسها في موقف لم تنجح فيه في "الأشياء المهمة" [مثل مظهرها الجسدي]، فإنها ستكون أقل سعادة بنفسها، وسترغب في التغيير، لتصبح شخصًا مختلفًا."[55]

[55] المرجع نفسه.

وفي تعليقه على نتائج البحث، يكتب كولمان:

"من الشائع أن يُعتقد أن وجود البنين والبنات معًا في المدرسة هو الأفضل – إن لم يكن لأدائهم الأكاديمي، فعلى الأقل لنموهم الاجتماعي وتكيّفهم. ولكن قد لا يكون هذا صحيحًا. فالتعليم المختلط قد يكون ضارًا لكل من التحصيل العلمي والنمو الاجتماعي... إن مجرد وضع البنين والبنات في مدرسة واحدة ليس أمرًا طبيعيًا ولا هو خيارًا صحيًا من الناحية الأخلاقية."[(56)]

وبالمثل، أظهرت الدراسات التي أجريت على الأطفال في سن المدرسة أن معيار النجاح بالنسبة للفتيات ليس الحصول على أفضل الدرجات بل النجاح الاجتماعي. في معظم الأوقات، تهتم الفتيات بما يعتقده الآخرون عنهن أكثر من اهتمامهن بدرجاتهن.[(57)]

---

[56] المرجع نفسه.

[57] Hoyenga, K.B. & Hoyenga, K. (1980). Sex Differences. Boston, Little Brown and Company.

تثبت هذه الأبحاث تفوق التعليم المنفصل بين الجنسين وتقدم أيضًا دليلاً على أن الأمر الإسلامي بتغطية وجه المرأة أمام الرجال غير المحارم يعزز الثقة بالنفس بين الفتيات. من خلال إخفاء جمالها وسحرها من خلال النقاب، لا تشعر المرأة المسلمة "بالتشييء" بنظرة الرجل. ومن ثم فإن الحجاب الإسلامي ينقذ المرأة من الإصابة بعقدة النقص. مع النقاب على وجوههن، لا داعي للقلق بشأن ما يعتقده الآخرون عن مظهرهن.

التعارف العاطفي والمواعدة والحُب قبل الزواج

في الإسلام، لا مجال للتعارف العاطفي والمواعدة. تُحرِّم التعاليم الإسلامية جميع أشكال العلاقة الحميمة قبل الزواج، بما في ذلك اتخاذ حبيب أو حبيبة (سورة النساء: الآية 25). يُوصى بشدة بأن تغطي المرأة المسلمة وجهها أمام الرجال غير المحارم. ولا يُسمح للنساء بكشف وجوههن أمام الرجال إلا في

حالات استثنائية (مثل طلب الزواج أو العلاج الطبي أو الشهادة في المحكمة، وما إلى ذلك). أبي حميد الساعدي وقد كان رأي النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

> **"إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها للخطبة وإن كانت لا تعلم."** (مسند أحمد)[58]

ينهى الإسلام عن التعارف العاطفي والعلاقات الغرامية قبل الزواج. ووفقًا للشريعة الإسلامية، يُعتبر الرجل والمرأة غير محارم لبعضهما البعض حتى يتم عقد نكاحهما (النكاح) وتنتقل العروس من منزل والديها إلى منزل زوجها. ولا تُحلّ الخطوبة وحدها الرجل والمرأة لبعضهما البعض. ويحرم الإسلام على الوالدين إرسال ابنتهما مع خطيبها، ولا يجوز لها الخلوة بخطيبها تحت أي ظرف من الظروف. مثل هذه الحالات ليست نادرة، فعندما تحمل الفتاة بعد الخطوبة مباشرةً، يُبلغ الرجل الفتاة ووالديها بأنه غيّر رأيه ولن يتزوجها.

---

[58] رواه أحمد (1/ 29، 36)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (2/ 17)، والبزار (7/ 80)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (97)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

إن مراسم الخطوبة هي مجرد نية زواج وليست زواجًا فعليًا. وقد ورد ذلك بوضوح في حديث النبي محمد ﷺ بشأن الرجال والنساء غير الأقارب:

لا يَخلُونَّ رَجُلٌ بِامرَأةٍ فَإنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيطَانُ (الترمذي)[59]

يُبين هذا الحديث أن أي خلوة بين الرجال والنساء غير المحارم دعوة أكيدة للشيطان. ومن البديهي أن هذا يشمل اللقاءات الخاصة وتبادل بطاقات الحب

أو البطاقات الإلكترونية في عيد الحب (أو في أي مناسبة أخرى) في غياب أولياء الأمور، وما إلى ذلك.

والأهم من ذلك، يشمل هذا أيضًا غرف الدردشة على الإنترنت، ومواقع المواعدة، والرسائل النصية، والرسائل الفورية، وتبادل الصور عبر البريد الإلكتروني أو فيسبوك أو الرسائل الجنسية. وفي السياق نفسه، تُعتبر الدردشة الخاصة، وخاصةً مع ظهور كاميرات الإنترنت أو الصور، بمثابة خلوة، وهذا

[59] رواه الترمذي (2165) وقال: "حديث حسن صحيح"، وأحمد (1/ 18، 32)، والحاكم (2/ 187) وصححه، وابن حبان (12/ 308)، وصححه الألباني في "صحيح الترمذي" (2165).

من أعظم أسباب الفتن للنساء والرجال على حد سواء. في مثل هذه الظروف، عندما يكون الرجال والنساء غير المحارم معًا في عزلة، يسهل التعرض للإغراءات، ونتيجة لذلك، قد تشتعل الغرائز الإنسانية الأساسية وقد تحدث أمور محرمة. لذلك، يجب ألا ننفرد أبدًا بامرأة ليست محرمة لنا (حتى لو كانت زوجتنا المستقبلية). عندما يتفاعل الرجال والنساء غير المحارم مع بعضهم البعض على مواقع التواصل الاجتماعي، أو عندما تخرج صور فتاة أو امرأة مسلمة من منزلها من خلال منشوراتهم على مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وتيك توك وغيرها، فإن الشيطان ينظر إليهم حتمًا وينشر الفساد في المجتمع. ونتيجة لذلك، تحدث حوادث الحب قبل الزواج وترتفع معدلات الطلاق في مجتمعاتنا الإسلامية. ولهذا السبب تحديدًا، أصدر العالم الإسلامي الشهير الشيخ عبد الحميد الأطرش، الرئيس السابق للجنة الفتوى بجامعة الأزهر الشريف (القاهرة)، في فبراير 2010، فتوى مفادها أن استخدام المسلمين لمواقع التواصل الاجتماعي أدى إلى تزايد الخيانة الزوجية. وجاءت هذه الفتوى بعد دراسة نُشرت في وقت سابق من ذلك الأسبوع،

زعمت أن حالة طلاق واحدة من كل خمس حالات في مصر نتجت عن استخدام أحد الزوجين لمواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وغيرها. ونصح الشيخ الأطرش المسلمين بالابتعاد عن هذه المنصات الإلكترونية. ورغم أن الشيخ الأطرش أصدر هذه الفتوى في مصر، إلا أنها تنطبق على المسلمين والمسلمات في كل دولة إسلامية. وأوضح الشيخ الأطرش أن هذه المواقع مسؤولة بشكل رئيسي عن تزايد حوادث الخلافات الزوجية في البلاد. قال في الفتوى:

"إنها أداة تهدم الأسرة لأنها تشجع الزوجين على إقامة علاقات مع أشخاص آخرين، وهذا مخالف للشريعة الإسلامية... فبينما يكون أحد الزوجين في العمل، ينشغل الآخر بالدردشة عبر الإنترنت مع

شخص آخر، مضيعًا وقته ومخالفًا للشريعة. وهذا يُعرّض الأسرة المسلمة للخطر". [60]

لا عجب أن يتوقع خبراء قانونيون في أوروبا وأمريكا استخدام مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وماي سبيس وبيبو قريبًا في إجراءات محاكم الطلاق. ووفقًا لخبراء قانونيين غربيين، فإن العديد من الأشخاص "الذين يستمتعون برسائل البريد الإلكتروني والمحادثات الغزلية مع أشخاص ليسوا شركاء لهم، غالبًا ما يُخدعون بشعور زائف بالأمان بأنهم لا يرتكبون أي خطأ لأنهم المغازلة إلكترونيًا فقط". [61] أشارت أنطونيا لوف (Antonia Love)، رئيسة قسم قانون الأسرة والشريكة في شركة فارليز للمحاماة، في هذا الصدد، إلى أن هذا "سيُسهّل بالتأكيد عمل المحامي، إذ أن الناس أقل حرصًا على ما يكتبونه في رسائل البريد الإلكتروني مما يُدوّنونه على الورق". في دراسة

---

[60] مجلة أردو لينك الأسبوعية، كاليفورنيا (الولايات المتحدة الأمريكية)، (الجمعة 19 فبراير 2010) "فتوى عالم بجامعة الأزهر حول فيسبوك".

[61] Bell, Jane (March 10, 2008) “Facebook and Flirting: the dangers of divorce” Georgia Family Law Blog. http://www.gafamilylawblog.com/2008/03/facebook-and-fl.html

استقصائية حديثة أجرتها الأكاديمية الأمريكية لمحامي الزواج في الولايات المتحدة، اكتُشف أنه مع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي والبريد الإلكتروني والرسائل النصية والدردشة، لوحظت زيادة بنسبة 88٪ في عدد قضايا الطلاق التي استُخدمت فيها "البيانات الإلكترونية" كأدلة. ومما زاد الطين بلة، أن شركات الكمبيوتر والإنترنت "تستعد بالفعل للاستفادة من ذلك من خلال طرح برامج يمكن للزوج أو الزوجة المشبوهين تحميلها على جهاز الكمبيوتر حتى يتمكنوا من التجسس على جميع رسائل البريد الإلكتروني المرسلة من وإلى الزوج/ الزوجة". إن هذا التجسس الإلكتروني على الأزواج والزوجات سيزيد من معدلات الطلاق في المجتمعات.

قال النبي محمد ﷺ في حديث أن الحياء من أهم سمات الثقافة الإسلامية:

"لِكلِّ دينٍ خُلُقٌ، وخُلقُ الإسلامِ الحياءُ " (موطأ الإمام مالك)[62]

كلمة "الحياء" في اللغة العربية تشترك في نفس الجذر مع "الحياة" التي تعني "الحياة". هذا الحديث يعني أن حياة الأمة الإسلامية تكمن في الحياء. عندما يسود بين المسلمين انعدام الحياء والفحش، يؤدي ذلك إلى هلاك الأمة الإسلامية. وقد نبه النبي محمد ﷺ المؤمنين في حديث آخر قائلاً:

" إذا لم تستحْيِ فاصنَعْ ما شئتَ " (صحيح البخاري)[63]

لا يُجيز الإسلام للرجال والنساء إقامة علاقات خارج إطار الزواج. وفي هذا الأمر حكمةٌ عميقة. فخلال فترة التعارف العاطفي قبل الزواج، لا يُظهر الرجل

---

62 أخرجه مالك في الموطأ (2/ 904/ 1631) عن أبي سعيد الخدري بإسناد صحيح، وابن ماجه (4181) عن أبي هريرة وفيه لين، وحسنه المنذري في الترغيب (3/ 92)، وصححه النووي في الأذكار (ص243)

63 صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. (حديث رقم 5769)

والمرأة لبعضهما البعض إلا الجوانب المشرقة من حياتهما. وبعد الزواج، لا يستطيعان الوفاء بتوقعاتهما السابقة، والتي هي في الواقع توقعات مصطنعة. عندها، تبدأ حقائق الحياة المُرّة بالظهور في علاقاتهما، والتي تنتهي أحيانًا بالطلاق.

تشير الأدلة العلمية التي أجراها علماء النفس والاجتماع إلى أن المواعدة و التعارف العاطفي والعلاقات قبل الزواج لها آثار ضارة طويلة المدى على العلاقات الزوجية. في دراسة نُشرت في مجلة العلوم الاجتماعية الحيوية عام 2000، أظهر عالما الاجتماع نيفيل بروس (Neville Bruce) وكاثرين ساندرز (Katherine Sanders) أن متوسط مدة العلاقة العاطفية في المدرسة الثانوية حوالي أحد عشر أسبوعًا.(64) ولا تُمثل هذه العلاقات العاطفية قبل الزواج سوى أسوأ أنواع التحضير لعلاقة حب طويلة الأمد بين الزوج والزوجة للبقاء معًا خلال فترات الشدة في الحياة الزوجية. وهناك دراسة أخرى تدعم

[64] Bruce, Neville & Sanders, Katherine (2001). "Incidence and Duration of Romantic Attraction in Students Progressing from Secondary to Tertiary Education." Journal of Biosocial Science **33**: 173-184.

هذه الحجة، وهي بحث أجراه عالما النفس ويندول فورمان وإليزابيث وينر اللذان درسا العلاقات العاطفية لسنوات. فبالنسبة لطلاب المدارس المتوسطة والثانوية، وجدا:

"أن المراهقين لا يهتمون كثيرًا بإشباع احتياجات التعلق أو الرعاية.... بدلاً من ذلك، ينصب تركيزهم على من هم، ومدى جاذبيتهم.... وكيف يبدو كل ذلك لأقرانهم."(65)

وبالمثل، يجادل الدكتور ليونارد ساكس بأن العلاقات الرومانسية قبل الزواج والمواعدة غالبًا ما تُنمّي عادات سيئة لدى الشباب. قد يحمل هؤلاء الفتيان والفتيات هذه العادات السيئة (المكتسبة أثناء المواعدة) معهم لبقية حياتهم.(66) على سبيل المثال، قد يتعلمون أنه من السهل جدًا ترك صديقك

---

[65] Furman, Wyndol & Wehner, Elizabeth, " Adolescent Romantic Relationships: A Developmental Perspective" in Shulman, Samuel & Collins, Andrew, eds., (1997). Romantic Relationships in Adolescence: Developmental Perspectives. San Francisco, Wiley.

[66] Sax, Leonard M.D., Ph.D. (2005). Why Gender Matters: what parents and teachers need to know about the emerging science of sex differences. New York, Broadway.

أو صديقتك لأتفه الأسباب. قد يتعلم الشباب معاملة الفتيات كمجرد أدوات جنسية لإشباع رغباتهم الذكورية دون الشعور بعلاقة عميقة معهم. بحلول الوقت الذي يتزوج فيه هؤلاء الشباب والفتيات، يمكن للعادات السيئة أو التجارب السيئة التي طوروها خلال علاقتهم الرومانسية قبل الزواج أو المواعدة أن تضر بعلاقاتهم الزوجية. كان من الأفضل بكثير لو ابتعدوا عن العلاقات الرومانسية قبل الزواج أو المواعدة منذ البداية.

مؤخرًا، بحثت دراسة استقصائية وطنية أمريكية حول نمو الأسرة في اتجاهات الأزواج الذين يعيشون معًا في الذكرى السنوية الخامسة والعاشرة والخامسة عشرة والعشرين لزواجهم. في هذه الدراسة الاستقصائية الوطنية التي أجرتها مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية (CDC) منها، لوحظ أن **"الأزواج الذين لا يعيشون معًا قبل الزواج هم أكثر عرضة لزواج طويل الأمد"**.[67]

---

[67] Centers for Disease Control and Prevention, National Survey of Family Growth, 2006-2010. Quoted in: Kim, Christine and Sheffield, Rachel (March 28, 2012) "Family Fact of the Week: Headlines Mask Cohabitation's Continued Risks" *The Foundary.* http://blog.heritage.org/2012/03/28/familyfact-of-the-week-headlines-mask-cohabitations-continued-risks/

وهكذا يتضح أن الممارسات السابقة للعقد الشرعي، بدلاً من أن تكون أساسًا للتفاهم، تؤدي إلى زيجات أقل استقرارًا ومعدلات طلاق أعلى.

الرجال يتحرّكون جنسيًا بتحفيز بصري، بينما النساء لا يفعلن ذلك

كثيرا ما تشتكي النساء من أن الرجال يعتبرونهن "أشياء". ومن ناحية أخرى، يشتكي الرجال من أن النساء مهتمات فقط بالحديث. ولا يخطئ أي منهما، لأن الجنس بالنسبة للرجال هو فعل، بينما بالنسبة للنساء يتعلق الأمر بالتواصل والعلاقة الجنسية. أشارت العالمة البريطانية الدكتورة آن موير (Dr. Anne Moir) إلى هذا الجانب من نفسية الرجال عندما ذكرت أن الحاسة الإدراكية الرئيسية لدى الرجال هي البصر، ولهذا السبب يفضل عدد أكبر من الرجال مقارنة بالنساء ممارسة الحب والأضواء مشتعلة. والمواد الإباحية، وهي تصوير فوتوغرافي للجنس من خلال العين، هي في المقام الأول صناعة ذكورية.

جميع المشترين والمشاهدين للمجلات الإباحية تقريبًا هم من الذكور وليس الإناث. لاحظت آن موير:

"تشكو النساء بحق من أن الرجال يعتبرونهن أدوات جنسية... إن الرجل منشغل بالشكل والصورة منذ ولادته، ومن طبيعة الرجل أن جمال وشكل الجنس الآخر يهمه أكثر مما يهم المرأة."(68)

وبالمثل، أجرى عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي كليلان فورد (Clellan Ford) وعالم الأحياء النفسي فرانك بيتش (Frank Beach) ملاحظات وتوثيق القواسم المشتركة لعلم النفس البشري عبر العديد من الثقافات في جميع أنحاء العالم. كتبوا:

---

68 Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

"في معظم المجتمعات، يحظى الجمال الجسدي للأنثى باهتمام أكثر وضوحًا من وسامة الرجل. وعلى العكس من ذلك، فإن جاذبية الرجل تعتمد عادة في الغالب على مهاراته وبراعته وليس على مظهره الجسدي."(69)

ويبدو أيضًا أن الرجال أكثر انحلالًا جنسيًا من النساء. في الآونة الأخيرة، نشرت مجموعة من علماء النفس من جميع أنحاء العالم دراسة استقصائية شملت أكثر من 16000 شخص من 52 دولة، بما في ذلك أستراليا وإفريقيا واليابان والصين وجنوب آسيا وشرق آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية. عندما نظر هؤلاء علماء النفس إلى النساء والرجال عبر العديد من الثقافات والقارات، وجدوا اختلافات "عالمية" بين الجنسين في اهتماماتهم ودوافعهم الجنسية. وخلص الباحثون في هذه الدراسة إلى أن:

---

[69] Ford, Clellan S. & Beach, Frank A. (1951). Patterns of Sexual Behaviour. New York, Harper Row.

"الرجال بطبيعتهم يرغبون في عدد أكبر من الشركاء الجنسيين مقارنة بالنساء في كل منطقة من العالم بغض النظر عن الحالة الاجتماعية، أو التوجه الجنسي، أو ما إذا كان الشخص يبحث بنشاط عن [شريك]". [70]

ومن ثم هناك اختلافات نفسية بين الذكور والإناث وكيفية نظر الرجل إلى المرأة. وهذا البحث الدولي أعلاه دليل آخر على أهمية ستر المرأة جمالها في حضور الرجال غير المحارم.

الفوائد الطبية لارتداء النقاب

وفقًا للإمام الإسلامي عز الدين بن عبد السلام، فإن الغرض الأساسي من كل أمر في الإسلام هو إزالة الضرر وإفادة البشرية. وقد حصر الإمام المقاصد العامة في مقصد واحد، وهو جلب المصالح، ودرء المفاسد،

---

[70] Schmitt, David et al. (118 other authors) (2003). "Universal Sex Differences in the Desire for Sexual Variety: Tests from 52 Nations, 6 Continents, and 13 Islands" Journal of Personality and Social Psychology **85**: 85-104.

وأدرج فيه بقية المقاصد، كمراعاة التخفيف، ورفع الحرج عن الناس، وإقامة العدل بينهم، حيث قال: **"ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها."** ثم قال: **"والشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح."**[71]

قال العز الدين:

> **"إن الشريعة الإسلامية تهدف إلى خدمة مصالح الناس، ومنع كل ما يضرهم. وتحقيق المصلحة هو المحور الذي تدور حوله الشريعة الإسلامية: إما منع المفسدة أو تعزيز الخير".**

من وصايا الإسلام أن تغطي المرأة وجهها (ارتداء النقاب) عندما تذهب إلى الأماكن العامة أو تقابل رجالاً غير محارم. هناك في الواقع عدد من الفوائد الطبية التي يمكن أن يوفرها ارتداء النقاب للنساء.

---

[71] أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت 660هـ) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1414 هـ - 1991 م

قناع الوجه الطبي أو "النقاب الطبي"

من الممارسات المعروفة ارتداء قناع الوجه للوقاية من التهابات الجهاز التنفسي. في الواقع، لقد علّم وباء عدوى فيروس كورونا (COVID-19) العالم أجمع أهمية تغطية الوجه بقناع الوجه. يعد ارتداء قناع الوجه الطريقة الرئيسية لتنظيف الهواء قبل أن يتنفسه. وفي هذا الصدد، فإن غطاء الوجه الإسلامي أو "النقاب" يشبه إلى حد كبير قناع الوجه الطبي (النقاب الطبي).

في هذه الأيام، تطلب منا السلطات الطبية ارتداء قناع الوجه في أعقاب الأوبئة المختلفة، مثل جائحة أنفلونزا الخنازير ووباء SARS-CoV2. في "التوصيات المؤقتة لاستخدام قناع الوجه وجهاز التنفس الصناعي لتقليل انتقال فيروس الأنفلونزا A (H_1N_1) لعام 2009"، كتبت مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها (CDC) في الولايات المتحدة:

"تساعد أقنعة الوجه في منع انتشار القطرات من قبل الشخص الذي يرتديها. كما أنها تمنع البقع أو الرذاذ من الوصول إلى فم وأنف الشخص الذي يرتدي قناع الوجه."[72]

تؤكد الدراسات العلمية الحديثة أن ارتداء الأقنعة يقلل من انتقال الفيروسات بشكل ملحوظ:

1. دراسة منهجية حديثة:(2023)

أثبتت مراجعة علمية شاملة نُشرت في مجلة Philosophical Transactions أن استخدام الأقنعة قد ساهم بشكل واضح في خفض معدلات انتقال فيروس كورونا (SARS-CoV-2) بين مختلف الفئات السكانية التي شملتها الدراسات.[73]

---

72 Centers for Disease Control and Prevention (2009). “Interim Recommendations for Facemask and Respirator Use to Reduce 2009 Influenza A (H1N1) Virus Transmission”. Atlanta, Georgia.

73 Boulos, L., Curran, J. A., Gallant, A., Wong, H., Johnson, C., Delahunty-Pike, A., et al. (2023). Effectiveness of face masks for

2. دراسة جامعة نيو ساوث ويلز (2009) – الأكثر تفصيلاً:

- ❖ أجرى باحثون من عدة مؤسسات مرموقة (بما في ذلك جامعة نيو ساوث ويلز وإمبريال كوليدج لندن) دراسة موسعة على 280 شخصاً من 143 عائلة في سيدني خلال موسمي الشتاء 2006 و2007.
- ❖ تم تقسيم المشاركين بشكل عشوائي إلى مجموعتين: مجموعة ارتدت الأقنعة وأخرى لم تفعل ذلك.
- ❖ كشفت النتائج المنشورة في مجلة Emerging Infectious Diseases أن الأقنعة قللت فرص الإصابة بعدوى الجهاز التنفسي بنسبة تصل إلى 75٪.

---

reducing transmission of SARS-CoV-2: a rapid systematic review. Philosophical transactions. Series A, Mathematical, physical, and engineering sciences, **381**(2257), 20230133.

تصريح رئيسي من الخبيرة:

علقت الدكتورة راينا ماكنتاير (Dr. Raina MacIntyre) (رئيسة فريق البحث وأستاذة علم الأوبئة) قائلة:

> **"لقد قدمنا الآن أدلة دامغة على أن الأقنعة – عند استخدامها بشكل صحيح – تقلل انتقال العدوى بشكل فعال. مع عدم وجود علاجات ناجعة لنزلات البرد الموسمية التي تصيب العائلات كل شتاء، تبقى الأقنعة وسيلة وقائية بسيطة لكنها فعالة."[74]**

3. الأقنعة كوسيلة وقائية فعالة ضد الأمراض التنفسية: أدلة من الممارسات المجتمعية

74 MacIntyre, C. Raina, Simon Cauchemez, Dominic E. Dwyer, et al (February 2009). "Face Mask Use and Control of Respiratory Virus Transmission in Households." Emerging Infectious Diseases. **15** (2)

- أثبتت الممارسات الطبية أن ارتداء الأقنعة يعد وسيلة فعالة للوقاية من الأمراض التنفسية الخطيرة، لاسيما في الحالات التالية:
  - الأمراض الموسمية مثل الإنفلونزا
  - الأوبئة التنفسية الحادة مثل متلازمة السارس
- مع تزايد الوعي الصحي العالمي، لاحظ الباحثون انتشار هذه الممارسة بين عامة الناس في مواقف محددة:
  - خلال مواسم البرد والإنفلونزا السنوية
  - أثناء تفشي الأوبئة كما حدث مع أنفلونزا الخنازير
- تدعم هذه الممارسة أدلة واقعية، حيث سجلت هونغ كونغ (Hong Kong) خلال ذروة وباء السارس عام 2003 أن 76٪ من السكان التزموا بارتداء الأقنعة كإجراء وقائي.[75]

[75] Lo, Janice Y.C., Thomas H.F. Tsang, Yiu-Hong Leung, et al (November 2005). "Respiratory Infections during SARS Outbreak, Hong Kong, 2003." Emerging Infectious Diseases. **11** (11)

فوائد تغطية الوجه للمرأة: في ضوء العلوم الطبية

إن تغطية الوجه عند الخروج من المنزل – كما يُشرع في النقاب – تحمل فوائد متعددة لصحة وجمال بشرة المرأة. وهذا الأمر له أبعاد شرعية وطبية، حيث تختلف طبيعة بشرة الوجه بين الرجل والمرأة اختلافًا جوهريًا يجعل حماية الوجه للنساء أمرًا ذا أهمية خاصة. فبينما تختلف التفاصيل من شخص لآخر، تُظهر الدراسات الطبية أن بشرة وجه المرأة تتميز بحساسية أعلى ونعومة أكبر مقارنة ببشرة الرجل، مما يجعل تعرضها للعوامل الخارجية (كأشعة الشمس والتلوث) أكثر ضررًا. وهنا يأتي دور النقاب كوسيلة وقائية تحافظ على صحة البشرة النسائية الحساسة.

الفرق الجوهري في سُمك الجلد: الحماية الطبيعية للرجال مقابل حساسية بشرة النساء

أظهرت الدراسات باستخدام التصوير فوق الصوتي (الإيكوغرافي) أن جلد الرجال أكثر سُمكًا من جلد النساء عبر جميع المراحل العمرية من 5 إلى 90 سنة.[76] وفي دراسة مفصلة التي أجراها العالم الياباني الدكتور كينيتشي تسوكاهارا (Dr. Kenichi Tsukahara) وزملاؤه، تم قياس سُمك الجلد في مناطق الجبهة والخدين والساعدين، كانت النتائج كما يظهر في الجدول التالي:[77]

76 Baran, Robert & Maibach, Howard I. (2005). Textbook of Cosmetic Dermatology. Oxon (U.K.), Taylor & Francis. Pg.13

77 Tsukahara, K., Takema, Y., Moriwaki, S., Fujimura, T., Imokawa, G. (2001) "Dermal fluid translocation is an important determinant of the diurnal variation in human skin thickness." British Journal of Dermatology **145**: 590-596.

تخانة الجلد	إناث	ذكور
جبين	1.50 mm	1.85 mm
خدّ	1.45 mm	1.85 mm
ساعد	0.90 mm	1.15 mm

ملاحظة: إدخالات الجدول هي قيم سماكة الجلد المقاسة بالملليمتر (مم). الملليمتر يساوي عُشر السنتيمتر.

النتائج الرئيسية:

- يمتلك الرجال جلدًا أكثر سُمكًا بنسبة 20-30٪ (1.85 ملم مقابل 1.50 ملم في قياسات الجبهة)
- هذه الفروق ذات دلالة إحصائية واضحة

التأثيرات العملية:

بسبب هذه الاختلافات التشريحية:

➢ تتعرض بشرة المرأة لأضرار أكبر من الأشعة فوق البنفسجية والملوثات البيئية

- تظهر علامات الشيخوخة المبكرة (مثل التجاعيد وترهل الجلد) بسرعة أكبر عند النساء
- يوفر النقاب حماية فعالة من هذه العوامل الضارة، مما يحافظ على نضارة البشرة

شيخوخة الجلد المُتسارعة: لماذا تتجعد بشرة الوجه الأنثوي أسرع؟

كشفت الدراسات الحديثة أن بشرة النساء تتقدم في العمر بوتيرة أسرع مقارنة بالرجال. باستخدام تقنيات التصوير بالليزر، تمكن الباحثون من قياس مدى الضرر الناتج عن التعرض لأشعة الشمس وعوامل الشيخوخة في الطبقات العميقة من الجلد. وأظهرت النتائج:

- **فقدان الكولاجين** :تفقد النساء الكولاجين (البروتين المسؤول عن نضارة البشرة) بمعدل أسرع من الرجال.(78)

---

78 Goudarzi, Sara (03 October 2006). "A Woman's Skin Ages Faster." Health section: http://www.livescience.com/health/061003_women_skin.html

- **تأثير الأشعة فوق البنفسجية** :تسبب تلفاً أكبر لألياف الإيلاستين مما يؤدي لظهور التجاعيد وترهل الجلد

دور النقاب الوقائي:

1. **الحماية من أشعة الشمس** :يقلل النقاب من اختراق الأشعة فوق البنفسجية بنسبة تصل إلى 95٪
2. **الحفاظ على الكولاجين** :يبطئ عملية تكسير البروتينات الجلدية المسؤولة عن مرونة البشرة.[79]
3. **مكافحة الشوارد الحرة** :يحمي من الإجهاد التأكسدي الذي تسببه الجذور الحرة

---

[79] Barr J. The Science and Studies Behind How Sun Exposure Impacts Aging. Brave in Bloom. (March 7, 2024). https://braveinbloom.com/blogs/anti-aging-journal/the-science-and-studies-behind-how-sun-exposure-impacts-aging

توضح الأبحاث أن النساء اللواتي يرتدين النقاب يتمتعن ببشرة أكثر شباباً مقارنة بمن يتعرضن بشكل مستمر لأشعة الشمس،[80] حيث يعمل النقاب:

- كواقٍ طبيعي من الأشعة فوق البنفسجية
- درعاً ضد العوامل البيئية المسببة للشيخوخة
- حافظاً للتوازن الطبيعي للبشرة

دور الشعر الذكوري في الحماية: لماذا لا يحتاج الرجال إلى نقاب؟

يكمن أحد الفروق الرئيسية بين بشرة وجه الرجل والمرأة في نمو الشعر الكثيف على وجه الرجل، وهو ما يمنحه حماية طبيعية متعددة الجوانب:

فوائد اللحية الصحية:

[80] Kaddurah, H., Braunberger, T. L., Vellaichamy, G., Nahhas, A. F., Lim, H. W., & Hamzavi, I. H. (2018). The impact of sunlight on skin aging. Current Geriatrics Reports, 7(4), 228–237.

- تقي من أمراض الحلق واللثة وفقـًا للدراسات الحديثة [81]
- تساعد في علاج السعال المزمن
- تعمل كعازل حراري يحمي الوجه من البرد القارس

الحماية من العوامل الخارجية:

- تفرز الغدد الدهنية عند الرجال كميات أقل من الزيوت مقارنة بالنساء
- تقلل اللحية من امتصاص البشرة للملوثات الكيميائية بنسبة تصل إلى ٪40
- تشكل حاجزاً طبيعيـًا ضد الغبار والعوامل الجوية الضارة [82]

النتيجة الطبيعية:

- لا يحتاج الرجال إلى النقاب لأن اللحية توفر لهم حماية شاملة

---

81 الدكتور جوهر مشتاق، مجد الوجه لحيته: في ضوء القرآن و السنة و ابحاث علمية حديثة ، دار النقش للطباعة والنشر و التوزيع، سوريا، 2019 ميلادي.

82 "Beard Research." http://mudhead.uottawa.ca/~pete/beard.html

- بينما تحتاج المرأة إلى النقاب لتعويض هذه الحماية الطبيعية المفقودة

- يحمي النقاب بشرة المرأة من:

  - امتصاص الملوثات الكيميائية
  - التأثيرات الضارة للعوامل الجوية
  - اختراق الجسيمات الدقيقة للبشرة

إفرازات البشرة الدهنية: كيف تحمي الطبيعة الرجال من أشعة الشمس؟

تتميز بشرة الرجال بخصائص فريدة فيما يتعلق بالإفرازات الدهنية، والتي تلعب دوراً وقائياً مهماً. كشفت دراسة الأطباء الأمريكيون الدكتور بيتر بوتشي (Dr. Peter Pochi) والدكتور جون شتراوس (Dr. John Strauss) في أبحاثهم المنشورة في مجلة الأمراض الجلدية التحقيقية أن:

الخصائص الهرمونية:

- ينتج جلد الرجال زيوتاً أكثر بنسبة 30٪ من النساء (للأعمار 20-69 سنة)
- يرجع ذلك لهرمون **التستوستيرون** وفقاً لأبحاث د. **بوتشي**
- بينما يقلل **الإستروجين** الأنثوي من الإفرازات الدهنية [83]

الحماية الطبيعية:

❖ أوضح **ستراوس** في دراسته أن الزيوت الذكورية:

➢ تعكس 25-30٪ من الأشعة فوق البنفسجية

➢ تشكل حاجزاً ضد الجذور الحرة

التوصية الوقائية:

❖ النقاب يعوض هذا التفاوت البيولوجي عبر:

83 Pochi, P.E. and Strauss, J.S. (1974) "Endocrinologic control of the development and activity of the human sebaceous gland." Journal of Investigative Dermatology **62**: 191-201.

➢ منع 95٪ من الأشعة الضارة (كدور الزيوت الذكورية)

➢ الحفاظ على رطوبة البشرة الأنثوية

حساسية الأعصاب الجلدية: الألم الذي تتحمله المرأة عند التعرض للعوامل الجوية

تؤكد الدراسات العلمية أن بشرة المرأة تتمتع بحساسية أعلى للتغيرات الجوية مقارنة بالرجل. ففي دراسة أجراها الباحثان مِه و دِينِسليك (Meh and Denislic)، تبين أن النساء يشعرن بالألم الناتج عن الحرارة أو البرودة بشكل أشدّ وأسرع من الرجال.[84] ولم تقتصر هذه النتائج على دراسة واحدة، بل أكدتها أبحاث أخرى مثل دراسة باوَلو بروكاتشي (Paolo Procacci) وزملائه التي قاست عتبة الألم لدى الجنسين باستخدام مصدر حراري خارجي.[85]

---

[84] Meh, D., Denislic, M. (1994) “Quantitative assessment of thermal and pain sensitivity”. Journal of Neurological Science. **127**: 164-169.

[85] Procacci, P., Bozza, G., Buzzelli, G., Della Corte, M. (1970) “The cutaneous pricking pain threshold in old age”. Gerontologia Clinica. **12**: 213-218.

وقد كشفت هذه الدراسات عن حقائق تشريحية مذهلة:

- تحتوي بشرة المرأة على ضعف الألياف العصبية الموجودة عند الرجال (34 ليفة عصبية/ سم^2 مقابل 17 عند الرجال) وفقًا لبحث نُشر في مجلة "جراحة التجميل وإعادة البناء"[86]
- يعود هذا التفاوت إلى عوامل عدة أبرزها:

❖ نقص سُمك الجلد عند النساء

❖ زيادة كثافة المستقبلات العصبية

هذه الاختلافات البيولوجية تجعل المرأة أكثر تأثراً بالعوامل الجوية القاسية. فعند التعرض لأشعة الشمس الحارقة أو الرياح الباردة، تظهر لديها استجابة ألمية أشدّ بكثير.

وهنا يأتي دور النقاب. يقدم النقاب حلاً وقائيًا لهذه الحساسية المفرطة عبر:

- عزل البشرة عن التقلبات الجوية
- تقليل التهيج العصبي

[86] Mowlavi, Arian (M.D.), Cooney, Damon (M.D.) Febus, Lori R.T. et al (2005). "Increased Cutaneous Nerve Fibers in Female Specimens." Plastic and Reconstructive Surgery. **116**; 1407-1410.

النقاب: وقاية إلهية لبشرة المرأة الحساسة

خلاصه الكلام، تكشف الدراسات العلمية حكمة إلهية بالغة في تشريع النقاب، حيث تبرز خمسة فروق جوهرية بين بشرة الرجل والمرأة تجعل الوجه الأنثوي أكثر عرضة للمخاطر البيئية:

1. الحماية الهيكلية:

- يمتلك الرجال جلدًا أكثر سُمكًا بنسبة 20-30 ٪ (1.85 ملم مقابل 1.50 ملم في قياسات الجبهة)
- يقلل اختراق الأشعة فوق البنفسجية والملوثات بشكل كبير

2. التدهور الكولاجيني:

- تفقد النساء الكولاجين أسرع بنسبة 50٪ مع التقدم في العمر
- يسبب ترهل البشرة وتجعدها المبكر

3. الدرع الشعري الطبيعي:

- توفر اللحية للرجال حماية مزدوجة:
  - ميكانيكية (تحجب 85٪ من الأشعة الضارة)
  - كيميائية (تقليل امتصاص الملوثات بنسبة 40٪)

4. الإفرازات الدهنية الحامية:

- تفرز بشرة الرجل زيوتًا أكثر بفضل التستوستيرون
- تعكس 30٪ من الأشعة فوق البنفسجية تلقائيًا

5. الحساسية العصبية المفرطة:

- تحتوي بشرة المرأة على 34 ليفة عصبية/ سم^2 (ضعف الرجال)
- تزيد إحساسها بالألم الحراري والبرودة

فالنقاب – بذلك – ليس مجرد زي شرعي، بل هو درع بيولوجي يعوّض الفروق التشريحية التي جعلتها حكمة الخالق. وهو ما يؤكد أن التشريعات الإسلامية تسد حاجاتٍ علميةً لم تُكتشف إلا حديثًا. **فالنقاب حمايةٌ شرعيةٌ وكمالٌ إلهي للمرأة المسلمة.**

الفصل الثالث

تاريخ تغطية وجوه نساء عن الرجال الأجانب في بلاد المسلمين قبل الاحتلال

عندما يخرج ينبوع ماء من جبل، تكون مياهه صافية تمامـًا. ولكن مع ذلك فلا يصل إلى السهول والوديان، إلا وقد امتلأت مياهه أتربة وغباراً، فيجعلها موحلة قذرة. فيعتقد من اعتاد على النظر إلى الأشياء نظرًا سطحيًا أن هذه المياه كانت قذرة في أصلها. ولعلّ هذا ما حدث مع عادات بعض المسلمين. فمنذ حوالي 1400 عام خرج ينبوع الإسلام من جبال مكة وامتد شرقـًا وغربـًا. ومع مرور الوقت، دخلت شوائب مختلفة على شكل عادات وممارسات غير

إسلامية إلى ربيع الإسلام. فبدأ بعض المسلمين في الأجيال اللاحقة يعتقدون أنّ هذه الشوائب جزءاً من مياه نبع الإسلام. ومن تلك الشوائب التي دخلت ثقافة المسلمين هي ممارسة ترك النقاب. فأصبحت عادةً منتشرةً بين المسلمات في القرن العشرين ظنًّا منهنّ أنَّه لا حرج في المشي في الشوارع بوجوه مكشوفة.

الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية (وهو السيطرة السياسية والعسكرية والثقافية التي فرضتها الدول الأوروبية ثم الأمريكية على العالم الإسلامي منذ حوالي مائتي عام)، جعل حجاب المرأة المسلمة الهدف الرئيسي للمستعمرين. ثم جاءت الثورة الجنسية الغربية بدعم من وسائل الإعلام المقروءة والمرئية، والتي كان لها في النهاية تأثير كبير على المجتمعات الإسلامية. ونتيجة لذلك، اختفى النقاب أولاً عن وجوه النساء المسلمات، ثم اختفى غطاء الرأس من رؤوس النساء المسلمات، وأخيرًا، مع ظهور اللباس الضيق، تم التخلي عن الملابس الفضفاضة (الجلباب أو العباءات) من قبل المرأة المسلمة. اليوم، ينكر بعض الكتّاب المسلمين 'التحديثيين' – الذين

اعتادوا النظرة السطحية للأمور – أن أغلبية النساء في المجتمعات الإسلامية تاريخيـًا كنّ يرتدين النقاب. يظنون أن ينبوع الإسلام الصافي كان دائمـًا عكراً وملوّنـًا. بيد أن الأدلة التاريخية الكثيرة تثبت أن غالبية المسلمات حتى القرن الثامن عشر كنّ يغطين وجوههن في الأماكن العامة. هذه الأدلة مستمدة من يوميات وكتابات الرحّالة غير المسلمين الذين زاروا البلاد الإسلامية قبل قرنين أو أكثر، كما سنرى في القسم التالي.

الاستعمار و النقاب المرأة المسلمة

ظلت نساؤنا المسلمات يمشين في العالم باحترام ووقار، حتى غزا المستعمرون الأوروبيون ديار المسلمين وبدأ الاختلاط بالكافرين. لقد وجد الأوروبيون صعوبة بالغة في اختراق حدود طهارة أخواتنا المؤمنات. فالنقاب لم يكن مجرد حاجز يحميهن من نظرات المستعمرين الشهوانية، بل كان درعـًا يمنحهن الحرية والاستقلال عن استغلالهم. حينها دبر الكفار خطة لهدم هذا

السور عبر إزالة النقاب، وللأسف سقطت كثير من أخواتنا – دون أن تدرك العار والدمار الذي تجلبه على نفسها – فخلعت النقاب وكشفت وجهها.

ألقى الناقد الاجتماعي الأمريكي نيل بوستمان (Neil Postman) الضوء على منهجية الاستعمار الغربي في كتابه "اعتراضات ضميرية" حيث قال:

"لكل عصر أشكاله الاستعمارية الخاصة، كما لكل غازٍ أدواته. في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، عندما أتقن البريطانيون هذه الصنعة، كانت طريقتهم في الغزو تتمثل بإرسال أسطولهم البحري أولاً، ثم جيشهم، يليهم الإداريون، وأخيراً نظامهم التعليمي."[87]

عندما غزا المستعمرون المجتمعات الإسلامية، واجهوا نساء مسلمات يغطين وجوههن عندما يخرجن إلى الشوارع. ومن خلال الاستخدام الدقيق للإقناع

---

[87] Postman, Neil (1992). Conscientious Objections: Stirring up Trouble about Language, Technology and Education. New York, Vintage Books.

وكذلك العلماء الحداثيين مثل قاسم أمين أو محمد عبده في مصر، تمكن الأوروبيون من إزالة النقاب عن وجوه النساء المسلمات.

إضافة إلى ذلك، استطاع المستعمر البريطاني - بالتعاون مع الحكومة العلمانية في مصر - تحويل جامعة الأزهر إلى مؤسسة حداثية اعتذارية. كما وثق الشيخ محمد الغزالي في «قضايا المرأة» كيف بدأ هذا التحول عام 1928م مع قانون إعادة تنظيم الأزهر. تم ذلك عبر تعيين علماء مسلمين حداثيين في المناصب الرئيسية بالجامعة - وهي سياسة ما زالت مستمرة حتى اليوم. هؤلاء «الأزهريون» الحداثيون كانوا يحلقون لحاهم أو يكتفون بتقصيرها على الطريقة الفرنسية، وهو خلاف إجماع الأئمة الأربعة على تحريم حلق اللحية ووجوب النقاب في حال الفتنة. كما يعتبرون الإعجاب بالموسيقى علناً (حتى أن الكثيرين منهم جعلوا الاستماع إلى المطربة أم كلثوم موضةً اجتماعية)، وأباحوا الاختلاط بين الجنسين بإبطال فرض النقاب الشرعي واستبداله بـ«الحجاب الضيق» على الرأس الذي يسمونه «حجاباً».

[ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه ليس كل علماء الأزهر محدثين؛ ومنهم من يتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم بدقة في كل تفاصيلها. من الواضح أن هؤلاء العلماء الإسلاميين الحقيقيين ليسوا موضوعًا للمناقشة هنا.]

وسنرى في هذا الفصل أنه حتى نهاية القرن التاسع عشر كان غطاء الوجه ملتزمًا به من قبل النساء المسلمات في جميع البلاد الإسلامية. ولم يقتصر النقاب على منطقة واحدة. على سبيل المثال، كتب العلامة أبو حيان الأندلسي (في تفسيره) عن حجاب المرأة المسلمة في الأندلس:

"قال السُّدّي يصف حجاب الأندلسيات: تُغطّي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين، وكذا عادة بلاد الأندلس، لا يظهر من المرأة إلا عينًا واحدةً."[88]

[88] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط. (توفي 745 هـ) المجلد. 7، ص. 240.

دليل على حجاب المرأة المسلمة من الزوار الأوروبيين و قصص رحلاتهم

منذ حوالي قرنين من الزمان، كان الزوار الأوروبيون يشعرون بالإحباط الشديد عند وصولهم إلى الشرق الأوسط لأن جميع النساء المسلمات تقريبـاً كن يغطين وجوههن بالحجاب. ولم تقدم النساء المسلمات المحجبات أنفسهن للسياح. علاوة على ذلك، فإن بيوت المسلمين أو أماكن التجمعات العامة (التي كانت معزولة تمامـاً في ذلك الوقت) لم تكن توفر أي فرصة للزوار الأوروبيين لإلقاء نظرة على جماليات الشرق الشهيرة. لقد كانت ضربة قاسية للأساطير الشعبية بين الأوروبيين حول المرأة المسلمة. على سبيل المثال، كتب الكاتب الفرنسي ليون ميشيل (Leon Michel):

"يعتقد الرجل الأوروبي أنه سيجد في أفريقيا قصورًا جميلة ذات شرفة فوق باب الشارع، حيث تنتظر سجينة كاريزمية [امرأة مسلمة] فارسًا فرنسيًا شجاعًا يرتدي درعًا لامعًا لإنقاذها. يَنسون أن الحريم محمي

جيدًا، وأن المشربيات على النوافذ تجعل من المستحيل على الرجال الغرباء التحدث أو حتى تبادل النظرات مع النساء داخل الحريم."[89]

وتشير الباحثة الكندية كاثرين بولوك (Katherine Bullock) في كتابها "إعادة النظر في المرأة المسلمة والحجاب" إلى أن المرأة في أوروبا فقدت قيمتها لأن وجهها كان مكشوفا وبالتالي أصبح جمالها يستمتع به الجمهور. ومع ذلك، بسبب نقابها (حجاب الوجه)، تم الحفاظ على المرأة المسلمة كالجوهرة في المرجان. ولذلك، وبكلمات بولوك، "أصبح الحجاب والنساء اللاتي يرتدينه، رمزًا للشرق بأكمله، ولكل ما فيه إغراء وخوف في نفس الوقت".[90]

ونظرًا لطبيعة النقاب لإخفاء الوجه الإنساني، انتقد بعض الرحالة الأوروبيين استخدامه بين النساء المسلمات، لأنه يحبط رغبتهن في النظر إلى وجوههن. فرانسيس برادلي بيرت (Francis Bradley-Birt) (توفي عام 1963 م)، في

---

[89] Michel, Leon (2010) Tunis [1883]. (French edition) Montana (USA), Kessinger Publishing.

[90] Bullock, Katherine (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil. Virginia, IIIT.

كتابه "عبر بلاد فارس"، عبّر عن غضبه على النوع الفارسي من النقاب بالقول إنه كان:

"أكثر الأزياء غير الخلابة التي يمكن أن يبتكرها الأزواج. فلا يجوز لأي غريب أن ينظر إلى المرأة الفارسية ليرى الجمال الذي تصوره العديد من القصائد والرومانسيات كنزًا مخفيًا."[91]

و بسبب الإحباط من حرمانهم من النظر إلى النساء المسلمات دون حجابهن، استخدم بعض المسافرين الأوروبيين حيلًا مختلفة ليتمكنوا من إلقاء نظرة عليهم. على سبيل المثال، سافر عالم الآثار الفرنسي مارسيل ديولافوا (Marcel Dieulafoy) وزوجته المستكشفة الفرنسية جين ديولافوا (Jane Dieulafoy) (1851-1916) إلى بلاد فارس خلال عقد الثمانينيات من القرن التاسع الميلادي (1880). تصف جين ديولافوي في كتاب رحلتها كيف قامت هي وزوجها بحل هذه المشكلة:

[91] Bradley-Birt, F. B. (2010) Through Persia – From the Gulf to the Caspian (original published in 1910 by J.B. Millet), New York, General Books, LLC.

"في وسط الفناء، كان رب الأسرة يتحدث مع شابتين، لا شك في أنهما من أقاربه. غير مدركين أنهم مراقبون، تركوا وجوههم مكشوفة... اختبأت خلف جزء من الجدار، وطلبت من زوجي أن يمرر لي الكاميرات، ويقوم بإعدادها في أسرع وقت ممكن، وأنا مسرورة لأنني التقطت مثل هذا الجمال الخفي الساحر الذي يخضع لحراسة شديدة في الأوساط الفارسية."(92)

كان ريتشارد بيرتون (Richard Burton) (1821-1890) مستكشفًا بريطانيًا بارزًا اشتهر بسرد رحلاته عن اختراقه للمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة من خلال ادعائه بأنه مسلم. في كتابه عن الرحلة الذي يحمل عنوان "رواية شخصية عن الحج إلى المدينة المنورة و مكة"، أجرى ريتشارد بيرتون دراسة إثنوغرافية للمسلمين في تلك المنطقة. وفي هذه

[92] Graham-Brown, Sarah. Images of Women: The Portrayal of Women in Photography of the Middle East, 1860-1950 [London: Quartet Books, 1988], quoted in Bullock, Katherine (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil. Virginia, IIIT.

الدراسة، لم يخف بيرتون تحيزاته الشخصية ضد الإسلام. نظرًا لأن النساء المسلمات في الشرق الأوسط اعتدنَ على تغطية وجوههن، وكان هناك فصل كامل بين الجنسين في الأماكن العامة، كان على بيرتون أن يتنكر في هيئة طبيب، يعني الشخص الذي يصف الأدوية للمسلمين. انطلق بيرتون في رحلة الحج من القاهرة حيث تبدأ رواية بيرتون. تنكر بيرتون في هيئة طبيب مسلم (حكيم) لأن اختيار هذا الدور سيضمن أن يلتقي بيرتون ببعض النساء المسلمات، اللاتي سيظل مسموحًا لهن عمومًا برؤية الأطباء الذكور بسبب مرضهن. على الرغم من أن رواية بيرتون بأكملها مليئة بالتعليقات الساخرة حول النساء المسلمات المحجبات، إلا أنه واجه صعوبة في إلقاء نظرة على وجوه النساء المسلمات. على سبيل المثال، في المدينة المنورة، أقام بيرتون في منزل أحد الشيوخ المحليين لكنه اعترف بأنه لم تتح له الفرصة قط لرؤية نساء المنزل.[(93)]

93 Burton, Sir Richard F. (1964). Personal Narrative of a Pilgrimage to al-Madinah and Meccah New York, Dover Publications.

تشارلز دوتي(1843-1926) (Charles Doughty) ، وهو رحّال إنجليزي أقام لمدة عامين (1876-1878م) بين بدو الحجاز ونجد، وسجل ملاحظاته في كتابه "**رحلات في شبه الجزيرة العربية الصحراوية**". ومن أجل الوصول إلى النساء المسلمات المحجبات، تبنى دوتي الاسم العربي "خليل" وتولى دور الطبيب كما فعل بيرتون قبله. وقد عبر عن استيائه من النقاب في مذكراته قائلاً:

"هذا الحجاب الشديد يحول بيننا وبين رؤية وجوه النساء، حتى أن المرء لا يميز بين الجميلة والقبيحة."[94]

وفي حادثة طبية، أخذ أحد السكان دوتي لفحص عيني والدته، فلم ترفع العجوز حجابها حتى أقنعها ابنه بأنه طبيب. علق دوتي بسخرية:

[94] Doughty, Charles M. (1936). Travels in Arabia Desert with an introduction by T.E. Lawrence, New York, Jonathan Cape, Ltd.; first published in 1888)

"وجهها الأنثوي طُمس بغطاء الحجاب الدنيء... وجوه النساء التي خلقها الله لبهجة العالم تحولت إلى هذا الرعب الغيور."[95]

وكان يصف النقاب في موضع آخر:

"إنهن يخفين حتى عيونهن خلف براقع سوداء، وكأن الله لم يخلق وجوههن إلا ليبقين في ظلام دائم."[96]

وتعليقًا على التصريحات الساخرة لدوتي وسلفه بيرتون ، تشرح عالمة الأنثروبولوجيا والباحثة الأمريكية الدكتورة كارول باستنر (Carroll Pastner):

95 المرجع نفسه.

96 المرجع نفسه.

"فشل كل من داوتي (Doughty) وبيرتون (Burton) في فهم أن إحدى الوظائف الأساسية للحجاب هي الحد من التفاعل بين الذكور والإناث لحماية النساء من أنظار الغرباء."[97]

كان ويليام راي ويلسون (William Rae Wilson) محاميًا من اسكتلندا وكاتب رحلات أيضًا، وقد نالت رواياته عن السفر إلى البلدان الأجنبية استحسانًا كبيرًا في جميع أنحاء أوروبا. نُشرت رحلته إلى الشرق الأوسط في لندن عام 1823 تحت عنوان "رحلات في مصر والأرض المقدسة". وأشار في كتابه إلى أنه "لا يُسمح للنساء في مصر برؤية أي شخص آخر في المنزل سوى عائلاتهن أو أقاربهن، وعندما يظهرن في الشوارع تكون وجوههن محجبة بالكامل."[98]

---

[97] Pastner, C. M. (1978). "Englishmen in Arabia: Encounters with Middle Eastern Women." Signs: Journal of Women in Culture and Society **4**(2): 309-323.

[98] Wilson, William Rae (1824). Travels in Egypt and the Holy Land: With A Journey Through Turkey, Greece, The Ionian Isles, Sicily, Spain, Etc. Whitefish (Montana, U.S.A.), Kissinger Publishing, LLC. (re-published in year 2008).

مارجوت بدران (Margot Badran) أستاذة بقسم الدين بجامعة نورث وسترن الأمريكية. في كتابتها لمقدمة السيرة الذاتية للناشطة النسوية المصرية هدى شعراوي، تقول بدران: "عندما خرجت [نساء مصر] حجبن وجوههن، فأخذن خلوتهن معهن."[99]

ماذا يمكننا أن نستنتج من كل هذه التقارير وكتب الرحلات؟ هذه الروايات التي قدمها الزوار والسياح الأوروبيون، ذكورًا وإناثًا، تشهد على حقيقة أنه قبل حوالي 100 عام، كانت جميع النساء المسلمات في المجتمعات الإسلامية تقريبًا يغطين وجوههن.

---

[99] Badran, Margot, 'Introduction', Harem years: The Memoirs of an Egyptian Feminist (1879-1924) London, Virago, 1986), quoted in Bullock, Katherine (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil. Virginia, IIIT.

كسر مقاومة المرأة المسلمة بنزع النقاب عن وجهها

اختفاء النقاب عن وجوه المسلمات ظهر بالتزامن مع دخول الاستعمار الغربي إلى البلاد الإسلامية، وكان لهذا التحول أسباب نفسية عميقة. كان الدكتور فرانز فانون (Dr. Frantz Fanon)، طبيبًا نفسيًا وفيلسوفًا فرنسيًا، مؤثرًا جدًا في مجال دراسات ما بعد الاستعمار وربما كان المفكر البارز في القرن العشرين في علم النفس المرضي للاستعمار. ألهمت أعماله حركات التحرر المناهضة للاستعمار في جميع أنحاء العالم لأكثر من أربعة عقود. في كتابه الرائد "احتضار الاستعمار" (Dying Colonialism)، يكتب الدكتور فانون عن حجاب المرأة المسلمة في الجزائر خلال الاستعمار الأوروبي:

> **"كل رفض للحجاب يفتح للمستعمرين آفاقًا كانت محظورة عليهم من قبل. فرفض الحجاب يكشف لهم شيئًا فشيئًا عن جسد المرأة الجزائرية، فتضاعف عدوانية المحتل. كل امرأة جزائرية جديدة نزعت حجابها أعلنت للمحتل عن مجتمع جزائري كانت أنظمته**

الدفاعية في حالة تفكك، مفتوحة ومخترَقة. كل حجاب سقط، وكل جسد انخلع من الحايك التقليدي (حجاب كامل مع نقاب)، وكل وجه عرض نفسه لنظرة المحتل الجريئة والمتعجلة، كان تعبيرًا سلبيًا عن حقيقة أن الجزائر بدأت تنكر ذاتها وتقبل باغتصاب المستعمر."(100)

وبحسب الدكتور فرانتز فانون، فقد شعر المستعمرون بالانتصار في نجاحهم في الضغط على النساء المسلمات وإقناعهن بخلع حجابهن، لأن ذلك يعني بالنسبة لقوات الاحتلال أن نظام الدفاع عن المجتمع الإسلامي أصبح أضعف وأضعف. وكان حجاب المرأة المسلمة يمثل مقاومة الاستعمار. إنها ستحبط المستعمر الذي يشعر بالعجز أمام امرأة يعتبرها ملكًا له لكنه لا يستطيع رؤيتها. وكان الحجاب عائقًا أمام حيازة المرأة المسلمة. ولم تقدم المحجبات أنفسهن لهم. لقد وصل المستعمرون إلى الشرق الأوسط وهم على ثقة بأنهم

---

[100] Fanon, F. (1965). Dying Colonialism. New York, Grove Press, Inc. (translated from French by Haakon Chevalier)

متفوقون على المسلمين، لكن هذه القناعة تزعزعت عند وصولهم إلى الشرق الأوسط. كان المستعمرون الأوروبيون يختبرون علاقتهم بالمرأة الجزائرية على مستوى معقد للغاية. فكيف يمكن للمرء أن يمارس السلطة على رعاياه الذين لا يعرفونهم؟ للمستعمرين، كان إخراج المرأة المسلمة المنتقبة من بيتها مرادفا لكسر مقاومتها، كما يوضح فانون:

"كشف هذه المرأة [المسلمة] هو كشف لجمالها... إخفاء الوجه هو أيضا تخفية لسر. هذه المرأة التي ترى ولا تبصر تحبط المستعمر. لا توجد مقابلة. هي لا تستسلم، ولا تعطي نفسها، ولا تتبرع بذاتها."[101]

بالنسبة للنساء في الجزائر، وكذلك في العديد من البلدان الإسلامية الأخرى، كان الحجاب والنقاب بمثابة إعلان عن هويتهن. ارتدت العديد من النساء العلمانيات اللاتي تظاهرن ضد شاه إيران في أواخر السبعينيات الحجاب دليلًا

---

[101] المرجع نفسه.

على الاحتجاج ضد مملكته. وقد تكررت الظاهرة نفسها في بلدان إسلامية أخرى مثل مصر. كانت المفكرة المصرية صافيناز كاظم، الناشطة النسوية الدينية، واحدة من تلك النساء المصريات اللاتي جرفهن في البداية مد الحداثة الغربية، الذي استمر قرابة نصف قرن. خلال فترة التقليد الغربي في مصر، كان ارتداء الأزياء الغربية يرمز إلى الطبقة الراقية، في حين كان ارتداء الحجاب مع النقاب يعتبر رمزا بلديا (الطبقة الدنيا). وتعتبر صافيناز كاظم الحجاب رمزا للهوية ووسيلة **"للعودة إلى الجذور الإسلامية"**. وتقول: **"قد تكون هناك أسباب أخرى تجعل الكثير من النساء الآن يرتدين الحجاب، ولكن لا شك أن انتشار الزي الإسلامي هو علامة التدين"**. وكانت كاظم أول صحفية مصرية ترتدي النقاب في العصر العلماني في السبعينيات. وتقول: **"أدركنا فجأة أننا سُلبت من ثقافتنا الإسلامية وبدأنا نبحث عن الجذور. لقد كنت مثل قطعة أرض محتلة، ويوم ارتديت النقاب [عام 1972] كان يوم تحريري."**(102)

---

102 Shahine, Gihan (11 - 17 January 2007). A witch-hunt for our times? Al-Ahram Weekly.

وبالفعل فإن حجاب ونقاب المرأة المسلمة هو رمز مقاومة الظلم حتى يومنا هذا. في النسخة الإلكترونية من صحيفة الغارديان، كتبت الراهبة البريطانية السابقة والباحثة الدينية المسيحية كارين أرمسترونج: "إن المطالبة بأن تتخلى [النساء المسلمات] عن الحجاب مع النقاب سوف ... تجعل بعض النساء يتشبثن بشدة بالثوب الذي يرمز الآن إلى مقاومتهن للقمع".(103)

ادعى المستعمرون الأوروبيون أنهم يريدون تحرير المرأة المسلمة عن طريق خلع حجابها. والسؤال الذي يجب أن نطرحه على هؤلاء المستعمرين هو: إذا كانت نواياهم تجاه المرأة المسلمة صادقة حقا، فما الذي دفعهم إلى استعمار هذه الدول الإسلامية في المقام الأول؟ لقد فرضوا نظامهم التعليمي الغربي على بلاد المسلمين المستعبدة لتجريد المرأة المسلمة من حشمتها وأنوثتها.

---

[103] Guardian News and Media. (2006, October 25). Karen Armstrong: My years in a habit taught me the paradox of veiling. The Guardian. https://www.theguardian.com/commentisfree/2006/oct/26/comment.politics1.

كانت الأمهات المسلمات الهدف الأساسي للجناح الديني للاستعمار الغربي، أي المبشرين المسيحيين. فقد صرح صموئيل زويمر (Samuel Zwemer) – المبشر الشهير في الشرق الأوسط – قائلاً:

"نظراً لأن تأثير الأم على الأطفال، سواء الذكور أو الإناث... هو تأثير حاسم، وأن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن عقيدتهن، نعتقد أنه ينبغي على الهيئات التبشيرية أن تضع تركيزاً أكبر على العمل بين النساء المسلمات كوسيلة لتسريع تنصير الأراضي الإسلامية."[(104)]

وهذا ما يفسر تركيز المدارس التبشيرية على تعليم البنات في فلسطين ومصر والهند خلال القرن التاسع عشر. وقد ذهبت بعض المدارس التبشيرية في البلاد الإسلامية إلى أبعد من ذلك، حيث حاول المعلمون في هذه المدارس إقناع

---

[104] Zwemer, Samuel M. (1926) Moslem Women. West Medford, Mass., Central Committee of the United Study of Foreign Missions, quoted in Bullock, Katherine (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil. Virginia, IIIT.

البنات المسلمات بالتمرد على والديهن والتقاليد الدينية وعدم ارتداء الحجاب. ومن الواضح أن حجاب المرأة المسلمة ونظام الحريم كانا من أكبر العقبات في عملهم التبشيري. ومن ثم، رأى المستعمرون الغربيون أنه من الضروري كسر مقاومة المرأة المسلمة بإقناعها بنزع حجابها.

الحملة الصليبية ضد النقاب في البلاد الإسلامية

كما قرأنا في روايات الزوار والسياح الأوروبيين من الماضي، كانت جميع النساء المسلمات تقريبًا في تلك المجتمعات يغطين وجوههن. فما الذي حدث لاحقًا حتى جرد المرأة المسلمة من نقابها؟ والآن، بعد مرور جيل أو جيلين، أصبحت العديد من النساء المسلمات يعتقدن أن ارتداء النقاب مجرد فعل استثنائي ونافلة وليس فريضة دينية كانت جميع نساء المجتمعات الإسلامية السابقة يلتزمن بها؟

وإليك ما حدث في بلاد المسلمين: مع قدوم الإمبريالية الغربية، بدأت التغيرات الحداثية في الظهور في العالم الإسلامي. قاد هذه التغيرات ناشطون

تغريبيون – بمن فيهم بعض المخلصين لحقوق المرأة – في مجتمعات إسلامية كانت قد تخلّت عن تطبيق الإسلام بأصله.(105)

وعندما احتلت بريطانيا مصر عام 1882م، عُيِّن اللورد كرومر (1883–1907) حاكماً فعلياً لمصر. وفي إطار سياسته، عيّن الشيخ محمد عبده مفتياً للديار المصرية عام 1899م. تحت قيادة عبده الحداثية، أصدرت مؤسسات مثل الأزهر فتاوى تبيح كشف الوجه، وتحلل الموسيقى، وتجيز قص اللحية– مخالفةً الإجماع التاريخي. وكان هدف هذه النخبة الموالية للاستعمار إرضاء كرومر الذي كان يعلن صراحةً معاداته للحجاب.(106)

المهم، أعاد المصلحون في القرن العشرين – بما في ذلك تلاميذ محمد عبده مثل رشيد رضا وعلماء الحقبة الاستعمارية مثل قاسم أمين ومحمود شلتوت من الأزهر – تفسير الآية 59 من سورة الأحزاب ليدّعوا أن تغطية الوجه كانت

[105] Ansari, A. (2013). Islam and Modernity: The Political Thought of Muhammad Abduh. Cambridge University Press, London.
[106] Ahmed, J. (1960). The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism. Oxford University Press, London. (p. 62)

مطلوبة فقط لنساء النبي (صلى الله عليه وسلم)، مؤكدين أن النساء المسلمات العاديات 'لم يرتدين النقاب تاريخيًا'.[107]

علاوة على ذلك، في مصر، قامت هدى شعراوي وسيزا نبراوي، بعد عودتهما من مؤتمر التحالف النسائي العالمي في روما عام 1923، في لفتة دراماتيكية، بخلع نقابهما بعد نزولهما من القطار، بينما في مكان آخر أحرقت صفية زغلول نقابها أمام الجمهور. كان ذلك هو الوقت الذي شجع فيه كمال أتاتورك، دكتاتور تركيا الشهير، النساء بل وأجبرهن على ارتداء الزي الأوروبي. وظهرت زوجته لطيفة هانم مكشوفة الوجه في حفل زفافهما، واستمرت في المشاركة في كافة المظاهر العامة دون حجاب الوجه. وبالمثل، ظهرت ملكة أفغانستان سريا بدون نقاب وعلنـًا في عام 1928 بينما كان الملك نفسه يطالب بإلغاء غطاء الوجه. في عام 1936، حظر ملك إيران رضا شاه غطاء الوجه وظهرت زوجاته غير محجبات في الأماكن العامة، بينما تم تغريم سائقي

---

107 Ahmed, L. (1992). Women and Gender in Islam. Yale University Press, U.S.A.

سيارات الأجرة إذا أَقَلُّوا راكبات يرتدين النقاب.[108] بالإضافة إلى الحجاب الإلزامي للرأس والوجه في المدارس وأماكن أخرى، أمر رضا شاه بعدم تلقي أي امرأة محجبة العلاج في عيادة عامة. كانت الرغبة في تقليد الزي الغربي قوية للغاية في مملكة إيران، لدرجة أن الحكومة أصدرت تعليمات للشرطة بتمزيق نقاب المرأة بالمقص إذا تم القبض عليها وهي ترتديه في الأماكن العامة.[109]

وبعد ذلك بوقت قصير، استسلم العديد من علماء المسلمين الحداثيين أيضًا لضغوط وسائل الإعلام والقوى الاستعمارية والنساء المسلمات النسويات، حيث بدؤوا في إصدار فتاوى تقترح أن النقاب يقتصر على زوجات النبي صلى

---

108 Jayawardena, Humari (1986) Feminism and Nationalism in the Third World. London, Zed Books, quoted in Bullock, Katherine (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil. Virginia, IIIT.

109 Givechian, Fatemeh. (1991). "Cultural Changes in Male-Female Relations." The Iranian Journal of International Affairs **3**(3): 521-530.

الله عليه وسلم فقط، في حين أن النساء المسلمات من عامة المجتمع المسلم لم تلبس النقاب قط.[110]

في عام 1992، منع عميد كلية الطب الكويتية الطالبات من ارتداء النقاب.[111] وفي تركيا، أيد قرار المحكمة الدستورية لعام 1988 لائحة اللباس لعام 1980 التي تحظر على جميع الموظفات الحكوميات ارتداء الحجاب والنقاب.[112] واليوم، تغضب وسائل الإعلام التي يسيطر عليها الغرب برمتها عندما تُجبر النساء على تغطية أجسادهن أو وجوههن في أي بلد إسلامي. ومع ذلك، فإن نفس وسائل الإعلام "العلمانية والليبرالية" تظل صامتة عندما تُجبر النساء المسلمات على خلع حجابهن. أليس هذا ازدواجية المعايير؟

---

[110] El Guindi, F. (1999). Veil: Modesty, Privacy and Resistance. Oxford: Berg Publishers.
[111] Goodwin, Jan. (1994) Price of Honor New York, Plume.
[112] Adnan-Unat (1991) Women in Middle Eastern History eds. Nikki Keddie & Beth Baron .New Haven, Yale Univ.

ومع ذلك، حتى لو كان الشخص حداثيًا وغير مستعد لقبول الوثائق التاريخية الإسلامية، فهو يحتاج فقط إلى إلقاء نظرة على قصص الرحلات التاريخية السابقة للزوار الأوروبيين غير المسلمين والتي ستخبرهم بشكل قاطع أنه قبل قرنين فقط من الزمان، كان الأمر كذلك. كان من الصعب للغاية في المجتمعات الإسلامية أن تجد نساءً في الشوارع مكشوفات الوجه. وجميعهن كن يرتدين النقاب أو يغطين وجوههن. لقد فهمت هؤلاء النساء الوصية الإسلامية بالالتزام بالحجاب والنقاب حقًا.

الفصل الرابع

تحرير المرأة في الإسلام

"النقاب هو وسيلة لإضفاء الكرامة على أنوثة المرأة من خلال جعل جمالها غير متاح للاستهلاك العام." (كاثرين بولوك)[113]

الإسلام هو أعظم مُنْعِمٍ على المرأة في تاريخ البشرية. تشريعات الحجاب الإسلامية تُوفر للمرأة تحرراً وحمايةً وكرامةً - وهو ما اعترف به حتى الكاتبات النسويات المسلمات مثل الروائية والسينمائية الجزائرية آسيا جبار (Assia Djebar) التي كتبت في كتابها "نساء الإسلام":

---

113 Bullock, Katherine (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil. Virginia, IIIT. This is a quote of one of Bullock's Muslim woman friends (pg. 196).

"في الغرب، يُركّزون على الحياة العامة الخارجية، أما المسلم فيعتبر حياته الأسرية الخاصة هي الأهم. كلمة 'حريم' التي أُهينت في الخارج وأصبحت تُوحي بالملذات السرية، نعتبرها نحن أعلى درجات الشرف، فهي المكان الذي يحفظ فيه الرجل أغلى ما يملك: زوجته... وأحد أكثر الجوانب إيلامًا وإثارةً للدراما [في العصر الحديث] هو مأزق الأسرة التي تحطم إطارها القبلي القديم. وفي مركز هذه الأسرة تقف المرأة. إنها الأكثر تعرضًا لعاصفة التغيير."(114)

إن الحجاب يحمي المرأة المسلمة من **'سرقة النظر'** من قبل الرجال الأجانب. عندما تنتقب المرأة، فهي تُلغي جسدها كي تحفظ نفسها من سرقة النظر الخارجية. وهذا هو التحرر الحقيقي.

114 Djebar, Assia (1961). Women of Islam. London, Andre Deutsch, Ltd.

آسيا جبار (1936-2015) كانت من أوائل المناهضات للاستعمار الفرنسي في كتاباتها، ورفضت لاحقًا الصورة النمطية الغربية عن حجاب المسلمات.

الإسلام والعدالة الاجتماعية للمرأة

صحيحٌ أن العقلية الحداثية العلمانية المناهضة للحجاب تشكل تهديدًا لقيم الإسلام فيما يتعلق بالعلاقة بين الجنسين، لكن الخطر يأتي أيضًا من الجانب الآخر – من الممارسات غير الإسلامية التي اختلطت بالممارسات الإسلامية. فالمرأة المسلمة، سواءً كانت محجبة أم غير محجبة، تُظلم في بعض المجتمعات المسلمة بسبب التطبيقات الخاطئة للإسلام التي فرضتها العادات المحلية. إن العديد من المظالم التي تُمارس ضد المرأة في المجتمعات المسلمة ترجع إلى العادات والتقاليد، وهذه الممارسات تستمر لأن الناس يجدون صعوبة في تغيير عاداتهم، أو لأن اتباع العادات أصبح أهم عندهم من الدين نفسه.

عندما يرى غير المسلمين أن بعضَ المسلمين في مجتمعات معينة يجبرون النساء على ارتداء الحجاب، ويمنعون الفتيات من الالتحاق بالمدارس، ويبيعون الفتيات الصغيرات عرائس لرجال أكبر سنًا يسيئون إليهن ويستغلونهن في بعض الأحيان، أو يجبرونهن على البقاء مع أزواج مسيئين،

وتعاني بَعض النساء المسلمات المطلقات من قوانين حضانة الأطفال، من الطبيعي أن يرتبك غير المسلمين بشأن أي من هذه الممارسات إسلامية وأيها تطبيق غير صحيح للإسلام. غالبًا ما يكون هؤلاء غير المسلمين غير قادرين – بسبب الجهل – على تمييز الإسلام (الصحيح والمفيد) عن الممارسات الثقافية السلبية (التي تضر وتشوه الإسلام الحقيقي).

تعاليم الإسلام تؤكد أن للمرأة المسلمة الحق الكامل في التعليم، والمشاركة في الحياة السياسية، والوصول إلى نظام قضائي عادل. فالإسلام يُقّدر تعليم النساء بقدر تعليم الرجال. وبينما لا يُطلب من النساء في الغالب تحمل مسؤولية إعالة الأسرة ماليًا، فإن الإسلام يحث جميع المسلمين – رجالًا ونساءً – بل يأمرهم بأن يكونوا أفرادًا متعلمين وفاعلين في هذه الأمة.

وبالمثل، تؤكد التعاليم الإسلامية على أهمية العدالة الاجتماعية للمرأة والرجل المسلم. وهذا يشمل العدالة في الشؤون الأسرية أيضًا. فقد منح القرآن النساء حقوقًا في الزواج والطلاق والميراث قبل قرون من حصول النساء في الغرب على مثل هذه الحقوق – وهي حقيقة يعترف بها حتى خبراء القانون

الغربيون. فقد لاحظ نوح فيلدمان (Noah Feldman)، أستاذ القانون في جامعة هارفارد:

"أما بالنسبة للتمييز الجنسي، فإن القانون العام (Common Law) حرم النساء المتزوجات لفترة طويلة من أي حقوق مالية أو حتى شخصية قانونية مستقلة عن أزواجهن. وعندما طبق البريطانيون قانونهم على المسلمين بدل الشريعة الإسلامية، كما فعلوا في بعض المستعمرات، كانت النتيجة تجريد النساء المتزوجات من الممتلكات التي كانت الشريعة الإسلامية تمنحهن إياها دائمًا – وهذا بلا شك لم يكن تقدمًا نحو المساواة بين الجنسين."[115]

---

[115] Feldman, Noah (March 16, 2008). "Why Shariah?". New York Times. http://www.nytimes.com/2008/03/16/magazine/16Shariah-t.html?ei=5070&em=&en=5c1b8de536ce606f&ex=1205812800&pagewanted=all

دور المرأة المسلمة الفعّال في عصر النبوة والخلافة الراشدة

لقد كرَّم الإسلام المرأة ومنحها دوراً محورياً في بناء المجتمع الإسلامي، دون أن يتعارض ذلك مع التزامها بشرائع الحجاب وأخلاقيات الحياء. وتشهد سيرة الصحابيات على توازن دقيق بين المشاركة المجتمعية والحفاظ على القيم الإسلامية. وفيما يلي أبرز مظاهر هذا الدور:[116]

1 .**المشاركة المجتمعية الشاملة:** لم تعتزل النساء الصحابيات الحياة العامة، بل شهدت مصادر التاريخ الإسلامي مشاركتهن في:

- مجالس العلم والتعليم
- الأنشطة الاجتماعية والخيرية
- الشؤون السياسية عبر البيعة والنصح للخلفاء

---

116 ابن سعد، الطبقات الكبرى (8 /182-203)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (2 /194-202)؛ ابن القيم، تحفة المودود (ص 167)

2. **الإسهام العلمي المتميز:**

- بروز عالمات الحديث كعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (راوية 2210 حديثـًا)
- مُدرِّسات للرجال والنساء (كأم سليم التي درّسَت في المسجد النبوي)
- الإفتاء وشرح الأحكام (كأم الدرداء الصغرى)

3. **المهام الرسمية:**

- تعيين سمرة بنت نهيك الأسدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا محتسبة لسوق مكة بأمر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- تولية الشفاء بنت عبدالله إدارة سوق المدينة ثم رئاسة الصحة بالبصرة

4. **الجهاد والدعوة:**

- المشاركة في الغزوات (تمريضـًا وعلاجـًا)
- الدفاع عن النبي ﷺ (كأم عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في أحد)
- تعليم النساء الجدد الإسلام (في فتح مكة)

5. **التوازن الشرعي:**

- **حافظن على كامل شروط الحجاب الشرعي (غطاء الوجه والجسد)**

- **التزمن بالحياء مع مزاولة الأنشطة العامة**
- **وازنَّ بين الأدوار العامة ومسؤولياتهن كزوجات وأمهات**

تتمتع المرأة المسلمة ببعض الحقوق التي لا يحق لأحد أن ينكرها، مثل الحق في الحصول على التعليم الكامل، والمشاركة في العملية السياسية، والوصول إلى نظام عدالة عادل.

كيف يمكن للإسلام أن يمنع المرأة من الحصول على العدالة؟ الإسلام دين يأمر أتباعه بالعدل حتى مع الأعداء:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ (سورة المائدة: 8)

كيف يمكن للإسلام أن يجيز إجبار المرأة على البقاء مع زوجها المسيئ؟ يمنح الإسلام، على عكس الأديان الأخرى، للزوجة الحق في فسخ الزواج من خلال ما يعرف بالخلع (أي رفع المرأة دعوى في المحاكم الاسلامية لإجراء

عملية الطلاق). الإسلام لا يسمح للزوج المسيء بتقييد زوجته.

كيف يمنع الإسلام المرأة من حضانة أطفالها في حالة الطلاق؟ لقد أقر الإسلام أن الأم أعطف وأقدر على رعاية الطفل، ومن ثم أعطى حق حضانة الطفل للأم، يعني أنَّ الأُمَّ أحَقُّ بالطِّفْلِ ما لم تتزَوَّج كما روي في الحديث:

أنَّ امرأةً قالَت يا رسولَ اللهِ إنَّ ابني هذا كانَ بطني لَه وعاءً وثَديي لَه سِقاءً وحجري لَه حِواءً وإنَّ أباهُ طلَّقني وأرادَ أن ينتزِعَه منِّي فقالَ لَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنتِ أحقُّ بِه ما لم تَنكِحي. (سنن أبي داود)[117]

كيف يمكن للإسلام أن يجيز قتل الفتيات المسلمات دفاعاً عن الشرف في حين أن القرآن يعتبر قتل نفس بغير حق مثل قتل البشرية جمعاء. والقرآن يحرم قتل النساء كما يلي:

---

[117] ابن حزم: ذكره في "المحلى" (10/ 292) وصححه، ابن حجر: ذكره في "التلخيص الحبير" (3/ 237) وحسّنه، السيوطي: صححه في "الجامع الصغير(142/ 1)

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ (سورة التكوير: 8،9)

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١﴾ (سورة الأنعام: 151)

هل النقاب يمنع المرأة المسلمة من الخروج إلى الأماكن العامة؟

تنظر النساء في المجتمعات الإسلامية إلى النقاب وسيلة للشعور بالراحة و الحرية. والحقيقة أننا إذا نظرنا إلى الشريعة الإسلامية نجد أن الأَمَة معفاة من لبس النقاب دلالة على حرمانها من استقلالها وأنها ليست امرأة حرة.[118] تاريخيًا، كان النقاب في المجتمعات الإسلامية يعتبر دائمًا رمزاً لحرية المرأة المسلمة. إن الأمر الإسلامي بالنقاب لا يمنع المرأة من الذهاب إلى الأماكن العامة. في الواقع، يسهل على المرأة المسلمة الخروج

118 Al-Misri, Ahmed ibn al-Naqib (1997). Reliance of the Traveller Amana Publishers, Beltsville, MD. Revised ed. Tr. By N. Keller

بحجاب الوجه. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه عندما تحذر التعاليم الإسلامية من اختلاط الرجال والنساء، فإن ذلك لا يعني مجرد وجود الرجال والنساء معًا في الأماكن العامة. يسمح الإسلام للمرأة بالذهاب إلى الأماكن العامة إذا لم يتم انتهاك قوانين الحجاب والنقاب الإسلامية. قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث:

قَدْ أَذِنَ اللهُ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَوَائِجِكُنَّ. (صحيح البخاري)[119]

الدكتورة هانا بابانيك (Hanna Papanek) من جامعة شيكاغو كانت عالمة أنثروبولوجيا ونسوية ألمانية أمريكية. وكانت الدكتورة حنا من أوائل النساء اللاتي حصلن على درجة الدكتوراه في العلاقات الاجتماعية من جامعة هارفارد (Harvard University) الأمريكية. أمضت سنوات عديدة تعيش في الدول الإسلامية لدراسة الحجاب و النقاب ودور عزلة

---

[119] أخرجه البخاري في صحيحه (5237).

المرأة في تعزيز مكانة الأسرة في المجتمعات الإسلامية. تلاحظ الدكتورة حنا:

"الحجاب الإسلامي هو البرقع أو العباءة الخفية التي ترتديها المرأة. إنه تكملة منطقية لاستخدام مساحات المعيشة المغلقة ويمكّن النساء من الخروج من هذه الأماكن في نوع من العزلة المحمولة. ونتيجة لذلك، وعلى الرغم من مظهره المزعج، يمكن اعتبار البرقع اختراعًا تحرريًا، وهو ما تراه العديد من النساء أنفسهن بهذه الطريقة. البرقع (الحجاب) هو إشارة اجتماعية واضحة لوضع من ترتديه كأنثى منعزلة، ولكن النوع المحدد من البرقع الذي ترتديه هو أيضًا إشارة إلى الطبقة والثروة والرقي والمنطقة الأصلية."(120)

---

120 Papanek, Hanna (1973 (Jun)). "Purdah: Separate Worlds and Symbolic Shelter." Comparative Studies in Society and History **15**(3): 289-325.

وبالمثل، قامت فلورنس مكارثي (Florence E. McCarthy)، الباحثة في قسم علم الاجتماع بجامعة ولاية ميشيغان (Michigan State University)، بدراسة النساء المسلمات في قرى بنجلاديش. ووجدت أن ارتداء البرقع (الحجاب والنقاب) وممارسات العزلة الصارمة منتشرة على نطاق واسع هناك. تَذْكُر العديد من نساء القرية أن البرقع قد تم إدخاله في حياتهن منذ خمسين عامًا (ربما بسبب موجة النهضة الإسلامية الحديثة والوعي بالتعاليم الإسلامية) وكان البرقع في السابق مقصورًا على نساء الطبقة العليا في المدن. وبحسب مكارثي، فإن سبب شعبية البرقع بين نساء القرى في بنغلادش هو تجربتهن في زيادة حرية الحركة خارج المنزل.[121]

وبالمثل، في دراسة أجريت على ست قرى عينة في منطقة لاهور في البنجاب (باكستان)، قام علماء الاجتماع سلوكم وأختر و ساهي بدراسة جوانب

---

[121] McCarthy, F. E. (1967). Bengali Village Women: Mediators between Tradition and Development. (unpublished M.A. thesis) East Lansing, Michigan State University, Department of Sociology.

اجتماعية مختارة من حياة نساء القرية المسلمات. وقد لاحظوا في دراستهم ما يأتي:

"يُتوقع من كل امرأة أن تغطي رأسها وصدرها [بالحجاب] لتظهر نفسها محتشمة وتستحق الاحترام. المرأة التي تفعل خلاف ذلك تعتبر غير محتشمة ومبتذلة. هذه هي الطريقة المعتادة لارتداء الحجاب داخل القرية. بالمعنى الدقيق للكلمة، الحجاب لا يلتزم به إلا نساء تلك الأسر التي تستطيع إدارة شؤونها دون خروج النساء من البيوت. وقد ترتدي أخريات البرقع في زيارة للأقارب أو في رحلة إلى المدينة. إن مراعاة الحجاب مع النقاب هو رمز للهيبة والموضة في القرى البنجابية."(122)

122 Slocum, W. L., Akhtar, Jamila and Fatima Sahi, Abrar (1960). Village Life in Lahore District: A Study of Selected Sociological Aspects. Lahore: Social Sciences Research Centre, University of Punjab. p.23

في مقال نشرته صحيفة نيويورك تايمز بعنوان "سعوديات بالبكيني" (Saudis In Bikinis)، شعر الكاتب نيكولاس كريستوف (Nicholas Kristof) بالإحباط عندما وجد أن النساء السعوديات واثقات من ارتداء الحجاب والنقاب. قامت أخصائية التغذية السعودية لانا بتوبيخ نيكولاس كريستوف عندما كتب إشارة ساخرة بشأن المرأة السعودية "المضطهدة". قالت له:

"أغطي جسمي ووجهي، وأنا سعيدة لأنني فتاة متدينة أطيع أوامر الله. أستطيع السباحة وممارسة الرياضة والذهاب إلى المطاعم وارتداء ما أريد، ولكن ليس أمام الرجال". لماذا يجب أن أظهر ساقي وثديي للرجال؟ هل هذه حقا حرية؟"(123)

النساء السعوديات اللاتي قابلهن كريستوف في الرياض "قدمن نفس النقد اللاذع، قائلين بشكل فعال أن المرأة السعودية هي الحرة – محمية من

[123] Kristof, Nicholas D. (October 25, 2002). "Saudis In Bikinis." The New York Times

التحرش الجنسي، محمية من المواد الإباحية، تنمع أن تستخدم أجسادهن لتسويق السيارات والكولا. ويقولون إن المرأة الغربية هي التي تم التلاعب بها لتصبح لعبة للرجال.[124]

تشعر المرأة المسلمة بإحساس بالخصوصية والتحرر عندما ترتدي النقاب عندما تخرج في الأماكن العامة. وفي واقع الأمر، يضفي النقاب إحساسًا بالارتقاء بمكانة مرتديه، كما تقول الدكتورة حنا بابانيك:

"بمعنى ما، بطبيعة الحال، فإن تجربة المشي في الشوارع حيث يصبح الآخرون غير مكشوفين، أو يتم تبديد شخصيتهم من خلال سترهم داخل البرقع، تشبه تمامًا تجربة كونك أحد المشاة والتفاعل مع الأشخاص الموجودين داخل السيارات."[125]

---

124 المرجع نفسه

125 Papanek, Hanna (1973 (Jun)). "Purdah: Separate Worlds and Symbolic Shelter." Comparative Studies in Society and History **15**(3): 289-325.

وبالتالي، بالنسبة للمرأة المسلمة التي ترتدي النقاب، فإن القدرة على الرؤية وعدم الرؤية تمنحها قوة الاختفاء. إنه يمنحها مكانة رفيعة من خلال جعلها غير مرئية للرجال غير المحارم في الشوارع.

فوائد لبس النقاب

فوائد لبس النقاب كثيرة، نلخص بعضها فيما يأتي:

1) <u>النقاب من أعمال التقوى</u>

وفي عصر العلمانية الحالي نسي كثير من المسلمين أوامر الله ورسوله ﷺ. وعلى المرأة التي ترتدي النقاب أن تجاهد ضد هؤلاء المسلمين وضد نفسها الأمارة. فلا ترتدي النقاب إلا إرضاءً لله، مما يزيدها من التقوى.

2) <u>النقاب مظهر من مظاهر "الحياء"</u>

كلمة "الحياء" لها مصطلح عربي واسع إلى حد ما. وقيل "الحياء" هو: تغيُّر وانكسار يعتري الإنسان مِن خوف ما يُعَاب به ويُذَمُّ، ومحلُّه الوجه.[126] الترجمة الشاملة لمعناها يمكن أن تكون **"الحفاظ على خصوصية ما يجب أن يكون خاصًا"**.[127] ومن خلال ارتداء النقاب، تؤكد المرأة المسلمة حقها في الخصوصية بغض النظر عن مكان وجودها في المجتمع ولا يمكن لأحد أن يتطفل على خصوصيتها.

3) النقاب درع ضد سرقة البصر

المرأة المسلمة التي ترتدي النقاب تكون في مأمن في الأماكن العامة من "السرقة البصرية" من الرجال، إنها مخفية عن أعين المتطفلين. من خلال تغطية نفسها من الرأس إلى أخمص القدمين، تستعيد المرأة المسلمة قدرتها على إظهار صفاتها الجسدية فقط لعائلتها وصديقاتها.

---

[126] التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم، ص61.

[127] Al-Muhajabah. “Why Wear Niqab? http://www.muhajabah.com/whyniqab.htm

4) تعزيز الهوية الإسلامية من خلال النقاب

عندما ترتدي المرأة الحجاب الكامل (النقاب)، لا يُمكن أن تُخطئها العين إلا كمسلمة. فالنقاب رمزٌ لعفَّة المرأة المسلمة وحشمتها، ولعل هذا ما قصده الله تعالى بقوله: ﴿...ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ...﴾ (سورة الأحزاب: 59).

كما أن المسلمة المنتقبة تكون ـ بحكم مظهرها ـ في حالة دعوة دائمة، فالنقاب إعلانٌ صريح عن الهوية الإسلامية. وكما تقول الأخت أمينة هرنانديز: **"عندما نرتدي النقاب، نصبح لافتةً متنقلةً للإسلام ."**

5) النقاب " غَيْرَة"

اليومَ، في عصرِ الثورةِ الجنسيةِ والإعلامِ، لا تعني العذريةُ شيئًا، و غَيْرَةُ الذكورِ أيضًا لا تعني شيئًا بين غيرِ المسلمين. والنقاب يهدف إلى استعادة هذه القيمة الأخلاقية المفقودة في المجتمع. الغيرة شعور طبيعي لدى

الرجال الطبيعيين الذين لا يحبون أن ينظر الناس إلى زوجاتهم أو بناتهم. والرجل الذي لم تتشوه طباعه يحمي النساء من أقاربه من الرجال الأجانب. المرأة المسلمة التي ترتدي النقاب تستر جمالها عن الآخرين ولا تشاركه إلا مع زوجها. عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ عزَّ وجلَّ إليهم يومَ القيامةِ ؛ العاقُّ لوالِدَيهِ ، والمرأةُ المترجِّلةُ، والدَّيُّوثُ. (سنن النسائي)[128]

6) النقاب يؤكد على وحدة الأسرة

النقاب يبرز وحدة الروابط العائلية حيث أن المرأة لا تغطي وجهها أمام أقاربها من المحارم. هذه الحقيقة يعترف بها علماء الاجتماع الغربيون. على سبيل المثال، أشارت الدكتورة أورسولا شارما (Ursula Sharma)، عالمة

---

[128] أخرجه النسائي (2561)، وأحمد (2/ 134)، والحاكم (4/ 146) وصححه، والبيهقي في "السنن الكبرى" (7/ 291)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد" ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر في "التلخيص الحبير" (4/ 149)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (3049).

الأنثروبولوجيا في جامعة كيلي (University of Keele) (إنجلترا)، إلى أن النقاب بالنسبة للنساء المسلمات "يؤكد على وحدة أفراد الأسرة في مواجهة الخارج، حيث يتم ارتداء النقاب فقط أمام الذكور الذين هم في الخارج الدائرة الموثوقة من الأقارب."[129]

النقاب: حصنٌ في مواجهة النظرة الذكورية

في مقالة نشرت عام ١٩٩٤، ذكرت صحيفة Sunday Gazette Mail (تشارلستون، فيرجينيا الغربية) أن "النساء يعتمدن على ما يبدو على السلطة في الداخل بدلاً من ارتداء الملابس القوية في الخارج". وتعليقًا على هذا الاتجاه الحديث لدى بعض النساء لاكتشاف قيمة تواضعهن، تقول الكاتبة الأمريكية ويندي شاليط (Wendy Shalit) في كتابها "العودة إلى العِفّة " (A Return to Modesty):

[129] Sharma, Ursula M. (June 1978). "Women and Their Affines: The Veil as a Symbol of Separation." *Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 13(2): 218-233.

"إن الاحترام لهذه 'القوة الداخلية' هو ما جعل الرجال فيما مضى عاجزين عن النظر إلى النساء مجرد أدوات جنسية. بل أصبحت المرأة شيئًا أعمق وأكثر جوهرية: حاملةً لسرّ عميق مدهش لا يُكشف إلا لمن يثبت أنه جدير بها."(130)

إن الحجاب والنقاب الإسلامي على وجه التحديد هما اللذان يعطيان هذه الرسالة للرجال في المجتمع أن المرأة ليست مجرد كائن جنسي، بل هي في الواقع تمتلك "سرًا عميقًا وعجيبًا" في نقابها (أو البرقع أو الشادور). المرأة المسلمة التي ترتدي النقاب تكون في مأمن في الأماكن العامة من **"السرقة البصرية"** من قبل الرجال، وبالتالي، **لا يمكن للرجال الذين لا تعرفهم الاستمتاع بها بصريًا دون موافقتها. إنها مخفية عن أعين المتطفلين. ومن خلال تغطية نفسها من الرأس إلى أخمص القدمين، تستعيد المرأة المسلمة قدرتها على تقديم نفسها ككائن جسدي فقط لأفراد أسرتها وصديقاتها.**

---

130 Shalit, Wendy (1999). A Return To Modesty: Discovering the Lost Virtue. New York, The Free Press.

وقد أشار العالم المسلم البريطاني الشيخ عبد الحكيم مراد (تيموثي ج. وينتر سابقًا) (Timothy J. Winter) إلى:

"في الحقيقة، فإن الزي الإسلامي يعمل بمثابة 'معطف واقٍ أخلاقي'، يكون مفيدًا بشكل خاص في المناخ العاصف للحداثة، ويقدّم رؤية للمرأة المسلمة على أنها محرَّرة - ليس من التقاليد والمعاني الأصيلة - بل من التباهي المظهري ومن الخضوع للانتهاك البصري العشوائي من قبل الرجال."[131]

في كتابه الشهير "طرق الرؤية" (Ways of Seeing)، درس الناقد الفني الإنجليزي جون بيرغر (John Berger) تصوير الجسد الأنثوي في لوحات الغرب التاريخية. ولخّص فكرة "النظرة الذكورية" بشكل دقيق عندما قال:

---

131 Murad, Abdal Hakim (T.J. Winter) (April 1999). "Islam, Irigaray, and the retrieval of gender". (www.masudkhan.co.uk)

"الرجل ينظر إلى المرأة.. بينما المرأة تراقب نفسها وهي تُنظَر إليها!

هذه النظرة لا تُحدّد علاقات الرجال بالنساء فحسب، بل حتى علاقة المرأة بذاتها!

فتصبح المرأة – في النهاية – كاللوحة المعلَّقة.. يُحدّق بها الجميع!"[132]

النقاب ينقذ المرأة من أنظار الرجال. يمنع النقاب المرأة من أن تكون شيئًا للمتعة الجنسية البصرية. إنه ينقذ المرأة من التأثيرات غير الموضوعية لنظرة الرجل إلى المرأة. ومن خلال عدم مراقبتها، تصبح المرأة المحجبة محصنة ضد "استبطان نظرة الرجل" مما ينقذها من مشاعر تدني احترام الذات أو الانشغال بالمظهر. الحجاب الإسلامي يعيد للمرأة شخصيتها. وكما أكدت مسلمة كندية ناهد مصطفى، تقول **"الحجاب الإسلامي يحرر**

[132] Berger, John (1972) Ways of Seeing. London, Penguin.

المرأة لأنه ينقذ المرأة من طغيان لعبة الجمال".[133] وَتُشِيرُ لُعْبَةُ الجَمَالِ إلى سعي المرأة للظهور مثل صور النساء الجميلات وَاللَّائِي يَظْهَرْنَ حولها في المجلات اللامعة، وعلى لوحات الإعلانات، والإعلانات التلفزيونية، والأفلام، وما إلى ذلك. **من خلال ارتداء الحجاب الإسلامي مع ملابس طويلة وفضفاضة، تشعر المرأة المسلمة بالتحرر من "عبودية البندول المتأرجح لصناعة الأزياء وغيرها من المؤسسات التي تستغل الإناث"** كما أشارت سلطانة يوسف علي و هي مراسلة لصحيفة تورونتو ستار (Toronto Star).[134]

ويشير القرآن في سورة النور إلى ظاهرة نظرة الرجل وأنها الطريق إلى تدمير قلوب الرجال كما قال الله جل شأنه:﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ

[133] Mustapha, Naheed, 'My Body is my Own Business', Globe and Mail, Facts and Arguments (Tuesday, June 29, 1993), p. C: I. quoted in: Bullock (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil.

[134] Yusufali, Sultana, 'My Body is My Own Business', *Toronto Star* (Tuesday, February 17, 1998), p. C: I. quoted in: Bullock (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil.

أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ (سورة النور: 30، 31)

أما الجزء الثاني من هذه الآية فيأمر المرأة المسلمة أن تغض أبصارها وتحفظ عورتها وأن تغطي عليها عباءتها. تقول الأخت كاثرين بولوك (Katherine Bullock)، الكندية التي اعتنقت الإسلام، تعليقًا على هذه الآيات من سورة النور: "عندما نقرأ الآية بأكملها، نلاحظ أن القرآن يجادل بأنه بالإضافة إلى غض البصر، هناك شيء يتعلق بارتداء ملابس طويلة وفضفاضة. يعني هذه الملابس تساعد المرأة على حماية حيائها ضد أنظار الرجال."[135]

ومن ثم، فإن الرسالة البسيطة للقرآن هي أنه في الأماكن العامة، حيث تكون فرص التفاعل بين الذكور والإناث حاضرة، وبالتالي تكون فرص استغلال

---

135 Bullock, Katherine (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil. Virginia, IIIT.

الإناث بصريًا حاضرة أيضًا، فإن ارتداء الإناث لباسًا خارجيًا (الحجاب مع النقاب) يخفف من هذه المشكلة. وبهذه الطريقة فإن الحجاب الإسلامي مع النقاب ينقذ المرأة من السرقة البصرية للرجال.

لم يمنع حجابُ العالماتِ المسلماتِ تفوُّقَهُنَّ في علوم الشريعة

يشهد التاريخ الإسلامي بأمثلة مشرقة لعالمات في الشريعة أتقنَّ علوم التفسير والحديث والسيرة النبوية والفقه الإسلامي والتاريخ وغيرها. ولم يظهر القول باستحالة أن تصبح المرأة عالمة في الشريعة إلا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، عندما غزت بريطانيا واستعمرت معظم البلاد الإسلامية وقامت بإلغاء المؤسسات التعليمية الإسلامية، لتحل محلها أنظمة التعليم العلمانية. لكن الحقيقة التاريخية تؤكد انتشار العالمات في الشريعة عبر العصور الإسلامية، وهو ما اعترف به حتى المستشرقون. ففي بحثه عن الحديث النبوي، لاحظ المستشرق المجري إجناز جولدتسيهر

(Ignaz Goldziher) (1850–1921م) أن النساء شكَّلن ما يقارب 15٪ من علماء الحديث في العصور الوسطى الإسلامية. وفي دراسة حديثة عن العالمات المسلمات في التاريخ الإسلامي، علقت روث رودد (Ruth Roded)، المؤرخة الاجتماعية والمحاضرة الأولى في تاريخ الإسلام والشرق الأوسط في الجامعة العبرية في القدس (Hebrew University of Jerusalem):

"إذا شعر المؤرخون الأمريكيون والأوروبيون بالحاجة إلى إعادة بناء تاريخ المرأة لأن المرأة غير حاضرة في المصادر التقليدية، فإن العلماء المسلمين لديهم حضور كبير للمرأة عند قراءة السير الذاتية لآلاف العالمات المسلمات، يتعجب المرء من الأدلة التي تتناقض مع نظرة غير المسلمين إلى المرأة المسلمة على أنها هامشية ومنعزلة ومقيدة [في المجتمعات الإسلامية]". (136)

---

136 Roded, Ruth. (1994) Women in Islamic Biographical Collections: From Ibn Sa'd to Who's Who. London, Lynne Rienner.

وإذا ألقينا نظرة سريعة على التاريخ الإسلامي، فسنلاحظ أنه مليء بأمثلة من عالمات الشريعة. ولن أذكر هنا إلا القليل منها:

1) **عائشة صديقة** رضي الله عنها، زوجة النبي محمد ﷺ، كانت من علماء الإسلام اللامعين لدرجة أن كبار الصحابة كانوا يتعلمون منها الإسلام. وهي إحدى الصحابة الستة الأكثر رواية عن رسول الله ﷺ. وكانت تمتلك ذاكرة قوية جدًا، كما يظهر من كثرة الروايات التي روتها عن النبي ﷺ.

2) **عائشة بنت سعد بن وقاص** رضي الله عنها، كانت من علماء الإسلام الكبار وكان من طلابها فقهاء وعلماء حديث مثل الإمام مالك وأيوب السختياني. وقد أدخلها الإمام الذهبي في حُفاظ الأحاديث.[137]

3) وكانت **عائشة بنت طلحة** من علماء الإسلام الكبار، حتى أنها أجرت مناظرة علمية مع أعلام البيت الأموي، وفاجأت الخليفة هشام بن عبد

---

[137] ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الكتاب الإسلامي 1414 هـ

الملك بعلمها. وهي حفيدة أبي بكر الصديق ﵁ (الخليفة الأول للمسلمين).[138]

4) **عَمْرة بنت عبد الرَّحمن الأنصارية** (29 هـ- 106 هـ) تابعية مدنية، وواحدة من رواة الحديث النبوي. وكان من تلامذة عَمْرة بنت عبد الرَّحمن شخصيات عظيمة مثل الإمام الزُّهري، وأبو بكر بن حزم، ويحيى بن سعيد. قال عنها الذهبي: «**كانت عالمة، فقيهة، حُجّة، كثيرة العلم**»، وحين أوصى القاسم بن محمد بن أبي بكر الزُهري قال له: «يا غلام، أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟»، فقال: «بلى»، فقال: «عليك بعمرة؛ فإنها كانت في حجر عائشة ﵂»، فقال الزهري: «فأتيتها فوجدتها بحرًا لا ينزف»،(سير أعلام النبلاء» الطبقة الثانية») الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز حينما قرر أن يجمع الحديث ويُدوّنه أمر قاضي المدينة وقتها ابن أختها أبا بكر بن حزم

---

[138] محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، المجلد. 2، الجزء 2. دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م

قائلاً: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سُنَّة مَاضِيَةٍ أو حديث عمرة، فاكتبه. فإني خشيت دُرُوسَ العلم، وذهاب أهله» [139]

5) **فاطمة السمرقنديّة** – ابنة علاء الدين السمرقندي (توفي 620 هـ) وزوجة الفقيه الحنفي الشهير علاء الدين الكاساني الملقب بملك العلماء (توفي 685 هـ). ولدت في تركستان في مدينة كاشان لاب فقيه ومحدث وتعلمت الفقه على يديه كما يقول الإمام عبد الحي اللكنوي **(كانت فاطمة فقيهة علاّمة تفقّهت على أبيها، وحفظت تحفته)**. **وكانت تفتي من وراء الحجاب**. خطبها من أبيها الكثير من ملوك الروم والعرب من المسلمين إلا أن والدها لم يجب أحدًا لهذا، وزوجها بدلاً عنهم تلميذه النجيب علاء الدين الكاساني، بعد أن شرح التلميذ كتاب شيخه (تخفة الفقهاء) في كتابه (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع) فزوجها إياه وكان مهرها هو الكتاب، حتى قال الفقهاء (شرح تحفته وزوجه ابنته).

---

139 الذهبي، سير أعلام النبلاء (5/ 263-264)؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى (2/ 204-205)؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب (12/ 456).

وكان الإمام الكاساني يقول إن زوجته فاطمة السمرقندية كانت أعظم منه في العلم. يروي طلاب الإمام الكاساني:

"رأينا أستاذنا يخرج أحيانًا من الفصل عندما لا يتمكن من الإجابة على سؤال صعب معين. وبعد فترة يعود ليوضح الإجابة بتفصيل كبير. وعلمنا لاحقًا أنه سيعود إلى منزله ليطرح نفس السؤال على زوجته ليسمع تفسيرها".

ومن الواضح أنه اعتمد على زوجته في أمور العلمية. تنقلت مع زوجها في كثير من البلاد حتى استقر بجوار الملك الأيوبي صلاح الدين الذي أكرمهما وكان كثيرًا ما يستشيرها في أموره الخاصة. كما كان يسشيرها أيضًا سلطان حلب نور الدين زنكي الذي كان يعرف قدر فاطمة ومكانتها فكان يستفتيها في بعض المسائل ويستشيرها في بعض أمور دولته الداخلية، وكانت فاطمة تحث زوجها كثيرًا على العودة إلى موطنهما فلما أراد إجابتها علم الملك نور الدين محمود وأرسل إليها

مع امرأة يرجوها البقاء بحلب فأجابته إلى ذلك، وأقامت في حلب إلى أن ماتت.[140]

6) **أنسخاتون زوجة ابن حجر العسقلاني،** كانت من مدينة القاهرة في مصر، هي ابنة القاضي ناظر الجيش كريم الدين، كانت عالمة فاضلة، عابدة صالحة، من بيت رئاسة وحشمة، ولها ميل شديد إلى علم الحديث، ونالت منه نصيبا وافرا، وصارت من المحدثات الشهيرة في عصرها. ترجمة مقولة: **"وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة"** واضحة جدا في واقع حياة الحافظ ابن حجر مع زوجته أُنْسخاتون، وقد نهضت عن زوجها بعبء البيت معنويا وروحيا وبتربية أولاده، وكانت خير زوجة وأنيس، ومن ثم استطاع الحافظ التفرغ التام بالنشاط الواسع في خدمة العلم، وخدمة الحديث النبوي الشريف على وجه الخصوص، وبث مناره وإعلاء شأنه بمختلف السبل من تصنيف وتحقيق وتعليم

---

[140] طالب هاشمي، أربعمائة امرأة مثالية في التاريخ الإسلامي [الأردية]. (1992) لاهور، دار النشر الإسلامية.

وتربية مما عم نفعه في الأمة الإسلامية كما لا يخفى.[141] قد تبوأت أنسخاتون مكانة علمية سامية في زمنها، حيث اعترف لها أهل العصر بالعلم والفضل، وخاصة في الحديث، وكان لها جُهُودٌ مَذْكُورَةٌ وَمَشْكُورَةٌ في دراسة السنة النبوية، بل عُقد لها مجلس تجتمع فيه بالناس وأحصى في مجلسها ألف محبرة على ما نقل، حتى قيل: "إنها المرأة الوحيدة التي كان لها مجلس تحديث في مسجد عَمْرو بن العاص في مصر" وتلقى عنها جماعة من أعلام العصر وتتلمذ لها خلق كثير بحضرة زوجها الحافظ ابن حجر، وكان من أشهر تلاميذها الإمام السخاوي، وهو القائل في استهلال ترجمته لها:"شيختُنا الرئيسة الأصيلة أُنْس" إلى أن قال: وقد خرَّجتُ لها "أربعين حديثًا عن أربعين

---

141 ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: د. محمد عبد الله الشنقيطي، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1423هـ/ 2002م، ج3، ص1207.

شيخًا"، قرأتُها عليها بحضورِهِ – يعنى ابن الحجر- وحملت عَنْهَا أَشْيَاء.(142)

7) الشيخ عثمان دان فوديو، الزعيم الروحي والسياسي لمجتمع سوكوتو في أفريقيا، كان لديه خمس بنات و إحدى بناته، **نانا أسماو**، كانت شاعرة ومعلمة وعالمة إسلامية عظيمة. في العشرين من عمرها كتبت أسماء أول مؤلفاتها وهو كتاب"**تنبيه الغافلين**"، ووصلت مؤلفاتها إلى نحو 73 كتابا في علوم الشريعة والحياة، فكتبت أسماء في الفقه والسلوك والتوحيد والعقائد وعلم العروض، وكذلك في الطب وفي أغلب العلوم.(143) في كتابها "نساء عظيمات من العالم الإسلامي"، تقول ناتالي مايدل، إن أسماء سارت على نهج أبيها، وحين هالها ما تتعرض له النساء من قهر وقمع في بلادها، اتجهت إلى تعليمهن. بدأت

---

142 سخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 12/ 11، الناشر: مكتبة القدس، القاهرة، 1355 هجري

143 Mack, Beverly B. & Boyd, Jean (2000) One Woman's Jihad: Nana Asma'u, Scholar and Scribe. Indianapolis, Indiana University Press.

في تعليم النساء القراءة والكتابة، وأعمالا متفرقة لكي يستطعن إعالة أنفسهن وأبنائهن، إذ كان طحن الحبوب من أبرز تلك الأعمال البسيطة. تروي ناتالي عن نانا فتقول "حين أطلق والدها اسم أسماء على ابنته الصغرى، كان تيمنا بالصحابية أسماء بنت أبي بكر ﵄، وكان يتمنى أن يكون لها أثر بارز في الأمة مثلما كان أثر الصحابية الجليلة ذات النطاقين، إذ لبنت أبي بكر ﵁ أثر بارز في قصة هجرة النبي ﷺ وأبيها، وبعد قرون عدة من هجرة النبي، كانت هجرة عثمان فودي لخلافة صكتو، علامة للابنة التي حملت من اسمها نصيبا، فقادت أسماء النساء ونظمت صفوفهن أسوة بالصحابيات الجليلات في عهد غزوات الرسول، وتولين تطبيب الجرحى وإنقاذ الجنود في قلب المعركة".(144)

144 https://www.aljazeera.net/women/2021/4/15/نانا-أسماء-خنساء-نيجيريا-وملهمة

8) **مريم جميلة**، ولدت في الأصل باسم مارغريت ماركوس (Margaret Marcus) في مدينة نيويورك عام 1934، واعتنقت الإسلام عام 1961 وأصبحت بعد ذلك شخصية مؤثرة في العلوم الإسلامية. كانت كاتبة ومفكرة وناشطة غزيرة الإنتاج كرست حياتها لدراسة الإسلام والترويج له. ألفت مريم جميلة أكثر من ثلاثين كتابًا والعديد من المقالات حول جوانب مختلفة من الإسلام، تناولت موضوعات تتراوح بين حقوق المرأة والتعليم والتاريخ والثقافة الإسلامية. تعكس أعمالها فهمًا عميقًا للتاريخ والفلسفة والفقه الإسلامي، وكانت معروفة بتفسيراتها الثاقبة للنصوص الإسلامية الكلاسيكية. لعبت كتابات مريم جميلة دورًا حاسمًا في سد الفجوة بين الجمهور الغربي والعلماء الإسلاميين، حيث قدمت منظورًا فريدًا عن الإسلام لاقى صدى لدى القراء في جميع أنحاء العالم. وتستمر أعمالها في إلهام وتثقيف أجيال من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، مما يجعلها شخصية بارزة في الفكر الإسلامي المعاصر. ولا تزال

كتاباتها بمثابة مصدر إرشاد وإلهام للأفراد الباحثين عن المعرفة والتنوير في طريق الإسلام.[145]

هذه مجرد أمثلة قليلة لعالمات الشريعة في تاريخنا. تاريخيًا، لم تكتب معظم العالمات الإسلاميات كتبًا عن الإسلام، فتأليف الكتاب ليس شرطًا لتكون عالمًا في الإسلام. ففي كثير من الحالات، صنعت هؤلاء النساء شخصيات إسلامية "مكتوبة" (مجهزة). ذات مرة سأل والد الشيخ حسن البنا الشهيد ابنه: "لِمَ لا تكتب أي كتاب؟" فأجابه الشيخ حسن البنا:

انا أُصَنِّفُ الرِّجال و هُم يُصَنِّفُونَ الكُتُب [146]

وهذا بالضبط هو دور العديد من العالمات المسلمات عبر التاريخ – فقد أعدَّت أولئك النساء العظيمات شخصيات أبنائهن، فصنعنَ منهم مؤلفين وعلماء. خلاصة الأمر أن الإسلام يقدر تعليم المرأة بقدر تعليم الرجل. في

---

[145] Jameelah, Maryam (1990) At Home in Pakistan: The Tale of an American Expatriate in her adopted Country. Lahore, Mohammad Yusuf Khan & Sons.

[146] سبحاني، عناية الله (1998) أذان مجاهد (أردو) لاهور، منشورات إسلامية.

حين أن النساء لا يتم تكليفهن عمومًا بمسؤولية كسب المال لدعم أسرتهن، إلا أنه يتم تشجيع جميع المسلمين – ذكورًا وإناثًا – (حتى أمرهم) على أن يكونوا متعلمين وأعضاء فعالين في هذه الأمة. كانت الأجيال الأولى من المسلمين تقدر تعليم الفتيات، وتحترم علم المرأة وكذلك مشاركة المرأة في الشؤون السياسية (شاركت النساء في البيعة، وكُنَّ متحدثات فصيحات تحدين القادة بالنقد والأسئلة). في العالم الإسلامي ما بعد الاستعمار، عانى تعليم المرأة. ولذلك فإننا نلاحظ تراجعـًا في أعداد العالمات، كما نرى تراجعـًا عامـًا في العلوم الإسلامية في معظم المجتمعات الإسلامية.

النساء الغربيات يعتنقن الإسلام بأعداد أكبر من الرجال الغربيين

واليوم نرى أنه مع من الدعاية الإعلامية ضد حجاب المرأة المسلمة والدعاية الكاذبة حول اضطهاد الإسلام للمرأة، إلا أن النساء الغربيات يعتنقن الإسلام بأعداد أكبر من الرجال الغربيين. أعداد قياسية من الشابات

البريطانيات البيضاوات يعتنقن الإسلام. ومن بين 5200 بريطاني اعتنقوا الإسلام في عام 2010، أكثر من نصفهم من البيض و75 في المائة منهم من النساء. وفي السنوات العشر الماضية، اعتنق حوالي 100 ألف بريطاني الإسلام، ثلاثة أرباعهم من النساء، وفقا لآخر الإحصاءات.(147) وبالمثل، في الدول الغربية الأخرى، فإن ثلثي (66٪) من المتحولين إلى الإسلام هم من الإناث.(148،149) لقد وجدت هؤلاء النساء الغربيات المتعلمات والمفكرات من خلال التجربة الشخصية والملاحظة أن الإسلام يقدم تحريرًا حقيقيًا للمرأة. لقد وجدوا أن الإسلام يجلب الكرامة للمرأة من خلال تغطيتها بالحجاب.

---

[147] Peppiatt, Richard. “Women & Islam: The rise and rise of the convert” *Independent (UK)*, 06 November 2011. (https://www.independent.co.uk/news/uk/home-news/women-islam-the-rise-and-rise-of-the-convert-6258015.html)

[148] Wohlrab-Sahr, M. 1999b. Konversion zum Islam in Deutschland und den USA. Frankfurt: Campus Verlag

[149] Wagtendonk, K. 1994. Islam, godsdienstwetenschappen en de ideeën van al-Nisa. Amsterdam: Universiteit van Amsterdam

لقد برزت ظاهرة اعتناق النساء الغربيات للإسلام بأعداد كبيرة في العقود الأخيرة، لدرجة أنها أصبحت محور أبحاث العديد من علماء الاجتماع في الجامعات الغربية. ومن هؤلاء علماء الاجتماع الغربيين آنا مانسون ماكجينتي (Anna Mansson McGinty)، الأستاذة المساعدة في جامعة ويسكونسن ميلووكي (الولايات المتحدة الأمريكية)، التي بحثت في أسباب جاذبية الإسلام للنساء في الغرب. في كتابها الصادر عام 2006 بعنوان "أن تصبح مسلمة: تحول المرأة الغربية إلى الإسلام" (Becoming Muslim: Western Women's Conversions to Islam)، تلقي ماغينتي الضوء على كيفية النظر إلى المرأة في الإسلام. توفر المقابلات التي أجرتها ماغينتي مع النساء نافذة على الرحلة نحو التحول. وجدت ماكجينتي أن المتحولات إلى الإسلام كانوا حريصين على ارتداء الحجاب مع النقاب لتحديد هويتهن كنساء مسلمات.[150] ومن هنا أصبح الحجاب الإسلامي رمزا قويا يدفع النساء غير المسلمات إلى اعتناق الإسلام.

---

[150] McGinty, Anna Mansson (2006) Becoming Muslim: Western Women's Conversions to Islam. New York, Palgrave MacMillan.

وفقاً لماغينتي، فإن جميع النساء الغربيات اللاتي اعتنقن الإسلام وجدن شيئاً في الإسلام يتوافق مع جزء أساسي من شخصيتهن. في الواقع، وجدت بعض النساء، وفقًا لماغينتي، أن الإسلام سمح لهن بتجربة "نوع جديد من الأنوثة"، نوع يؤكد على الحياء ويعطي قيمة عالية لشخصية المرأة بدلاً من مظهرها.(151)

إحدى النساء اللاتي قابلتهن ماغينتي في كتابها كانت فاطمة، وهي كاثوليكية سابقة أصبحت فيما بعد ملحدة أثناء دراستها في الكلية. وفي وقت لاحق تزوجت وأنجبت طفلين. شاهدت ذات مرة فيلمًا وثائقيًا عن المحرقة النووية مما دفعها للبحث عن المعنى الروحي لحياتها. وأثناء سعيها طلقت زوجها واعتنقت الإسلام. وبعد ذلك تزوجت من رجل مسلم.

امرأة أخرى أجرت ماكجينتي مقابلة معها كانت مريم، وهي طالبة دراسات عليا أمريكية في الأنثروبولوجيا. ذهبت مريم للعمل الميداني

[151] المرجع نفسه.

الأنثروبولوجي في شمال أفريقيا حيث اعتنقت الإسلام في سن الخامسة والعشرين. وبعد سنوات عديدة، تزوجت من رجل كان أيضًا قد اعتنق الإسلام.

تعد هيلينا بيناودا (Helena Benauoda) من بين أبرز الشخصيات التي اعتنقت الإسلام في السويد. وهي رئيسة المجلس الإسلامي السويدي. وفي إحدى المقابلات مع صحيفة The Local السويدية، تذكرت أن رحلتها نحو الإسلام بدأت منذ سن مبكرة للغاية: **"بدأت عندما كنت في التاسعة من عمري وأردت أداء صلاة الليل ولكني لم أعرف لمن أصلي، فبدأت أبحث للحصول على الإجابات، ووجدت كل الإجابات المنطقية في الإسلام."** و أوضحت هيلينا بنعودة أسباب التحول في الغرب: **"يبحث الكثير من الناس هنا في السويد عن المعنى الروحي للحياة. وحتى أولئك الذين هم ضد الدين يجدون أنفسهم منجذبين إليه بمجرد أن يبدؤوا في دراسته. لكن بشكل عام الناس هنا يخافون من الدين، لأنهم يخافون من**

الموت، وحقيقة أن العديد من الديانات تعتبر الناس مسؤولين عن أفعالهم في الآخرة."(152)

دراسة شاملة أخرى حول ظاهرة اعتناق المرأة الغربية للإسلام قامت بتجميعها عالمة الأنثروبولوجيا دارين فان نيوكيرك (Darin van Nieuwkerk) من جامعة نيميغن (University of Nijmegen) في هولندا. يتضمن كتابها "المرأة التي تعتنق الإسلام: النوع الاجتماعي والتحول في الغرب" بحثًا حول النوع الاجتماعي والتحول إلى الإسلام من قبل كبار المؤرخين الغربيين وعلماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء اللاهوت الذين يبحثون في سبب تحول النساء غير المسلمات في الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوروبية وجنوب إفريقيا إلى الإسلام. ووجد مؤلفو الدراسة أن العوامل تشمل:

---

[152] Abdelrahman, Rami (Oct. 23, 2007). "In a secular society, Swedish women who convert to Islam." The Local (Sweden's English Newspaper). Quoted in: http://headscarf.wordpress.com/2007/10/23/in-a-secular-society-swedish-women-who-convert-to-islam/

"الانجذاب إلى احترام الإسلام الكبير للأسرة والمجتمع، ومعاييره الأخلاقية الصارمة، وعقلانية وروحانية لاهوته، فضلاً عن خيبة الأمل في المسيحية والحياة الجنسية غير المقيدة عند الكثير من الثقافة الغربية."[153]

وهذا التحليل تؤكده دراسة رائدة أخرى حول ظاهرة التحول من منظور علم اجتماع الأديان، أجرتها عالمة الاجتماع الدكتورة مادلين سلطان سيوكفيست (Madeleine Sultán Sjöqvist). كانت أطروحتها للدكتوراه في جامعة أوبسالا بعنوان "Vi blev muslimer" (أصبحنا مسلمين) وتركزت على النساء السويديات اللاتي اعتنقن الإسلام. في ملخص هذه الأطروحة كتبت الدكتورة مادلين سلطان:

"تتكون مادة الأطروحة من مقابلات مع نساء سويديات اعتنقن الإسلام، بهدف معرفة تطور منظومة القيم عند المفحوصين عن دينهنّ. لقد تم طرح أسئلة عن قيم تحول النساء إلى الإسلام

153 Nieuwkerk, Karin van (2006) Women Embracing Islam: Gender and Conversion in the West. Texas, Univ. of Texas Press.

ومشاركتهن الدينية وكذلك ما يعنيه العيش متحولة جديدة إلى الإسلام في مجتمع غربي علماني."[154]

في إطار أطروحتها، أجرت الدكتورة مادلين سلطان مقابلات مع نساء سويديات عرقيات اعتنقن الإسلام. جميع النساء اللاتي تمت مقابلتهن كن مسلمات متدينات. في وقت إجراء المقابلات، كانت أعمار العينة تتراوح بين 20 إلى 50 عامًا؛ كانوا متزوجين من رجال مسلمين، علمانيين وملتزمين. وقد تم طلاق العديد منهم مرة واحدة أو أكثر. وتباينت خلفياتهم التعليمية: بعضهن لم يكمل تعليمه الأساسي، وبعضهنَّ الآخر جامعي. وكان بعضهن يعملن خارج المنزل، بينما كانت أخريات ربات بيوت.

وفقًا للدكتورة مادلين سلطان، فإن العديد من النساء المسلمات المتحولات يقدمن تفسيرات مفتوحة لما يعنيه الالتزام الديني، في نفس

---

[154] Sultán Sjöqvist, Madeleine (2006) Vi blev muslimer Svenska kvinnor berättar. En religionssociologisk studie om konversionsberättelser. Uppsala: ACTA Universitatis Upsaliensis (Theses from Uppsala University, Department of Theology, Sociology of Religions)

الوقت الذي يبحثن فيه عن "الإجابات الصحيحة". أخبرتها النساء المعتنقات أنهن أصبحن الآن متحررات كنساء لأنهن يشعرن بأنهن تحررن من هوس المجتمع بجسد المرأة ومظهرها. وأكد المتحولون على المساواة والعدالة بين الجنسين، بينما قُلنَ في الوقت نفسه أن "المرأة يجب أن تطيع زوجها وتعيش بشكل صحيح وفقا للإسلام".[155]

في ملخص أطروحتها، لاحظت الدكتورة مادلين سلطان عن النساء الغربيات اللاتي اعتنقن الإسلام:

"تتحول هؤلاء النساء إلى الإسلام احتجاجًا على التعلق بالمظهر الجسدي في مجتمعنا الحديث. وتلعب الظروف المعيشية الصعبة للنساء، اللَّاتِي من المفترض أن يكون لديهن مهنة ويَقُمْنَ بالتدبير المنزلي، دورًا أيضًا. تشعر العديد من النساء أن حياتهن تفتقر إلى المعنى الهدف، ولكن المسيحية لا تبدو بديلًا مناسبًا لهن ....

[155] المرجع نفسه.

ويبدو أن جاذبية الحياة الأسرية الإسلامية هي سمة مشتركة بين النساء اللاتي يعتنقن الإسلام."[156]

في مقالة منفصلة كتبت لمعهد النوع الاجتماعي في بلدان الشمال الأوروبي (Nordic Gender Institute)، أوضحت الدكتورة مادلين سلطان وجهات النظر النقدية للنساء الغربيات المتحولات إلى الإسلام تجاه المجتمع الغربي بالكلمات التالية:

"في المجتمع الغربي، تُجبر النساء على الركض بين المنزل وحضانة الأطفال والمدرسة والحياة العملية. فالجمع بين كل ذلك أمر مستحيل؛ فمن غير الممكن ببساطة تحقيق زواج سعيد وأطفال أصحاء إذا اضطر كلا الوالدين إلى العمل خارج المنزل. علاوة على ذلك، تعتبر النساء الغربيات يركزن على مظهرهن ويُنظر إلى أجسادهن لتبدو ذات طابع جنسي. إن الآثار السلبية للحياة في

[156] المرجع نفسه.

المجتمع الغربي واضحة: فالمرأة تعاني من التوتر والإرهاق والمرض. فقد تحطموا ويجب عليهم التخلي عن أطفالهم. يُنظر إلى الرجال الغربيين على أنهم مهتمون بهواياتهم الخاصة مثل الرياضة والكحول أكثر من اهتمامهم برفاهية أسرهم.... عند المسلمين، تحظى مهام المرأة في المنزل بتقدير كبير مثل مهنة الرجل. ولأول مرة في حياتهم، تشعر هؤلاء النساء بالحرية." (157)

---

157 Sultán Sjöqvist, Madeleine (2007). "In a secular society, Swedish women who convert to Islam." NIKK magasin **2**: Nordic Gender Institute, Oslo, Norway
http://www.nikk.uio.no/?module=Articles;action=Article.publicShow;ID=600

الفصل الخامس

قصص تحول النساء إلى الحجاب والنقاب

هدف هذا الفصل هو الاستماع إلى أصوات بعض النساء المسلمات حول فهمهن لتجربة الحجاب وخبراتهن الشخصية معه. فمن خلال هذه الشهادات والمقابلات مع محجبات، سنرى أن الحجاب – خلافًا للتصور الغربي الشائع – ليس رمزًا لهيمنة الذكور، بل هو في الواقع عامل تحرير للمرأة المسلمة، كما أثبتت فصول الكتاب السابقة.

عودة الحجاب

على الرغم من هجمات وسائل الإعلام الغربية ضد الحجاب، فإن المزيد والمزيد من النساء المسلمات من كل فئة اجتماعية، سواء كانت غنية أو فقيرة، يلتزمن بالحجاب. منذ قرن مضى، بدا أن الحجاب كان يتلاشى في العالم الإسلامي. ولكن الآن، تتغير الاتجاهات مع تزايد عدد الفتيات والنساء المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب الكامل. ومن المثير للاهتمام أن الشباب المسلم هو الذي يقود هذه النهضة الإسلامية. وفوق كل ذلك، من المفارقة أن تكون موجة الصحوة الإسلامية هذه بين الشباب أكثر بروزا في البلدان الإسلامية التي تم تحديثها بقوة وفقا للمعايير الغربية. وهذا ما أوضحه البروفيسور جون إسبوزيتو (John Esposito) بشكل جميل في كتابه "الإسلام: الطريق المستقيم" حيث قال:

> **"لقد تحدى تاريخ الإسلام الحديث العديد من الافتراضات والتوقعات. وكانت الحكمة السائدة هي أن التحديث يتطلب فصل**

الدين عن الحياة العامة، حيث أصبحت المجتمعات الحداثية تدريجيًا وحتمًا علمانية. لقد عارضت النهضة الإسلامية وأفقدت مصداقيتها مثل هذه النظرة التطورية الموحدة للتغير والتطور التاريخي. لقد كانت النهضة [الإسلامية] أكثر وضوحا في البلدان التي كانت فيها الحداثة أقوى. علاوة على ذلك، غالبًا ما يتم استخدام التقنية والتعليم الحديث لتعزيز المعتقدات والممارسات [الإسلامية] بدلاً من تقويضها. "(158)

وظاهرة عودة الحجاب هذه ملحوظة في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية على حد سواء. يتذكر الدكتور مالك بدري، عالم النفس السريري المسلم السوداني الشهير، بوضوح أنه عندما كان يحضر رسالة الدكتوراه في إنجلترا عام 1959، كان يرى العديد من زوجات أصدقائه المسلمين يخلعن حجابهن الإسلامي والنقاب لأنهن أعجبن بالفساتين ذات الطراز الغربي. وشعرن في ذلك الوقت أن الجميع في الشارع سوف يندهشون إذا ارتدين الحجاب الإسلامي ورأوا

---

[158] Esposito, John L. (1988) Islam: The Straight Path. New York, Oxford Univ. Press.

أنهن يرتدين ملابس غريبة أو متخلفة أو رجعية. ومع ذلك، اليوم مع ظهور موجة الصحوة الإسلامية، لم يعد المسلمون يعتذرون أمام الحداثيين. يقول الدكتور البدري: "في أيامنا هذه، وبفضل النهضة الإسلامية، لن يستمتع أحد في شارع أكسفورد بلندن برؤية نساء مسلمات منقبات محجبات بالكامل."(159)

في عام 1995، عندما عقدت الأمم المتحدة مؤتمرها العالمي الرابع في بكين (الصين)، تجمعت مجموعة من المثليات، بعد أن علمن أن الإسلام هو عدوهن الحقيقي، حول خيمة من النساء المسلمات العربيات وشمال الإفريقيات وهتفن بشعارات عدوانية ضد الإسلام، في ظلّ الرقص المغر وغناء الأغاني المؤيدة للسحاقيات. ونتيجة لذلك، تحدثت نساء مسلمات من ماليزيا ضد المثليات، وقُلن إن هذه الإهانة الفاحشة "**تذكرنا بإصرار المستشرقين على تحرير المرأة المسلمة عن طريق تمزيق النقاب**". (The Sun

---

159 Badri, Malik (1997). The AIDS Crisis: An Islamic Socio-Culture Perspective. Kaula Lumpur, International Institute of Islamic Thought & Civilization.

(Malaysia)، 9 سبتمبر 1995) ذكّرت النساء المسلمات في ماليزيا الغرب بأن **"المسلمات المحجبات اليوم فيهنَّ الأطباء والمحامين والأساتذة. وهذا لا ينبغي أن يكون مفاجئا لأن الإسلام لا يضطهد المرأة."**[160]

ومؤخراً نشرت وكالة رويترز تقريرها الإخباري (2 نوفمبر 2009) تحت عنوان "معركة النقاب تغلي في مصر". وبعد تصريحات ساخرة حول ارتداء النقاب في الإسلام، اعترف تقرير رويترز بأن النقاب أصبح أكثر انتشارا في السنوات القليلة الماضية في مصر:

> **"قبل 30 عامًا فقط، كانت النساء يذهبن إلى جامعة القاهرة الرائدة في مصر يرتدين التنانير القصيرة والقمصان بلا أكمام. لقد تَجَوَّلْنَ على طول شواطئ الإسكندرية بملابس السِّبَاحَةِ الضَّيِّقَةِ في وقت كان فيه المجتمع يبدو أكثر لِيبرَالِيَّةً وَتَسَامُحًا.**
>
> **ويقول المحللون إن الحجاب كان يُنظر إليه على أنه مؤشر سلبي وكان**

[160] The Sun (the Malaysian dialy), Sept. 9, 1995. Petaling Jaya (Kualalampur), Sun Media Corporation Sdn Bhd.

سائداً بين الطبقات ذات الدخل المنخفض. نادراً ما ترتدي النساء من الطبقات العليا والمتوسطة الحجاب في سن مبكرة، وأولئك الذين فعلوا ذلك عادة ما يتبعون تفسيرات عصرية للحجاب. وكان النقاب غير شائع في ذلك الوقت.

لكن النقاب أصبح أكثر انتشارا. إن النساء اللواتي يرتدين النقاب والعباءات السوداء الفضفاضة هو مشهد مألوف يتجولن في أرقى مراكز التسوق في مصر وفنادق الخمس نجوم، وكذلك في الأكواخ."[161]

مصر ليست الدولة الإسلامية الوحيدة التي تشهد عودة الحجاب. كما ذكرنا سابقًا، أصبح البرقع (الحجاب مع النقاب) شائعًا جدًا بين نساء القرى في بنغلاديش. وقد لوحظ الشيء نفسه في باكستان كما لوحظ سابقًا في الدراسة الاجتماعية التي أجراها سلوكوم وأختار وساهي.

نشرت مجلة التايمز تقريرا عن موجة الصحوة الإسلامية بين الشباب في

---

[161] Karouny, Mariam (Nov. 2nd, 2009) Reuters (http://www.reuters.com/article/2009/11/02/us-egypt-niqab-idUSTRE59U17V20091102)

باكستان في عددها الصادر في 16 أكتوبر 2006. وصف كاتب المقال الصحفي آريان بيكر (Aryan Baker) أجواء جامعة البنجاب الباكستانية بالكلمات التالية:

> **"تجول في الحرم الجامعي الذي تبلغ مساحته 1800 فدان، ولن تواجه أي شيء يشبه السلوك الجامعي التافه. تُمنع الحفلات الموسيقية، ويتم الفصل بين الرجال والنساء في قاعات الطعام. تحضر العديد من الطالبات الفصول الدراسية وهن يرتدين الحجاب الذي يغطي كل شيء ما عدا أعينهن... الأمر الأكثر إثارة للدهشة في هذا المناخ المحافظ هو أنه لا يقوده أعضاء هيئة التدريس بل الطلاب."[162]**

في جامعة البنجاب، تعد جمعية الطلاب الإسلامية (IJT) أكبر مجموعة طلابية في الحرم الجامعي، ولها تأثير ليس فقط على نمط حياة الطلاب ولكن أيضًا

---

162 Baker, Aryan (Lahore) (Oct. 16, 2006). "No Dates, No Dancing: Why Pakistan’s university students are embracing the fundamentalist life." Time U.S.A.: 53-54.

على المناهج الدراسية ومناهج المقررات الدراسية. يتابع آريان بيكر:

"وتكشف الزيارة إلى جامعة البنجاب ما يعنيه ذلك على أرض الواقع. ينتمي حوالي 2400 من طلاب الجامعة البالغ عددهم 24000 إلى جمعية الطلاب الإسلامية. يُتوقع من الأعضاء أن يعيشوا بشكل أخلاقي وأن يلتزموا بأمر القرآن بنشر الخير وقمع الشر. بالنسبة للكثيرين، يتضمن ذلك اعتماد أسلوب حياة صارم. يجتمع الأعضاء في جلسات دراسية منتظمة ويجب عليهم حضور اجتماعات الصلاة طوال الليل مرة واحدة على الأقل في الشهر. وخارج الفصول الدراسية، يتم الفصل التام بين الجنسين بشكل صارم". (162)

وبالمثل، ذكر إم إتش لاكدوالا (M. H. Lakdawala) من مومباي في مجلة الصوت الإسلامي (Islamic Voice monthly) الشهرية في الهند أنه "من ضغط الوالدين إلى ضغط الأقران إلى الاختيار الذاتي، فإن الحجاب مع النقاب البرقع قد وصل إلى دائرة كاملة" واليوم يُنظر إلى الحجاب بشكل متزايد على

أنه "زي مثالي وملابس مثالية". أداة للتسوية الاجتماعية من قبل فتيات مومباي. وبحسب لاكداوالا، أصبح الحجاب اليوم موضة للجيل الجديد. لدعم ادعائه، أجرى لاكداوالا مقابلات مع بعض الفتيات المسلمات من مومباي، وأبلغ عن تجاربهن والتي سيتم تلخيصها هنا: [(163)]

عنيزة – طالبة في السنة الثالثة، كلية ماهاراشترا

"إن التحرش الجنسي ليس مفهومـاً جديداً، ومن المؤكد أن كل فتاة في وقت ما كانت ضحية له. وهنا يأتي دور الحجاب لإنقاذ الفتيات".

كافيتا – زميلة هندوسية لزينت بيج

زينت بيج طالبة إدارة والمسلمة الوحيدة في فصلها. اعتاد زملاؤها في الفصل على مضايقتها على أنها أرثوذكسية. وعندما شرحت مزايا النقاب لزملائها، تغير موقفهم تجاه زينت تمامًا. كافيتا، زميلة وصديقة زينت، أخبرتها عن

163 Lakdawala, M.H. (Feb. 2001). "Hijab is Back in Mumbai". Islamic Voice. Mumbai: Vol. 15-02 (170).

ملاحظتها بأن معظم الرجال يتعاملون بلطف شديد مع النساء المحجبات. وعلى الرغم من كونها هندوسية، اعترفت كافيتا بأنها إذا أتيحت لها خيار، فإنها سترتدي حجاب الوجه، فقط حتى تتمكن من المشي في الشارع دون الحاجة إلى القلق بشأن التحرش الجنسي.

تبسم – كلية الطب اليوناني

"للنقاب دلالات تصد انتباه الرجال. إنه يدل على شعور معين بالأمان، ربما يكون والد الفتاة أو شقيقها موجودين، وهي فكرة تتبادر إلى ذهن الرجل الذي ينظر إليها."

ياسمين سيد – كلية البرهاني

"إنها علم نفس خالص. إذا كان الرجل لا يستطيع رؤية الوجه، فلن يخاطر بتوجيه لفتة ودية لها لأنه قد يظن أن المرأة المنقبة فتاة جميلة، ثم يتبين أنها امرأة عجوز، فيصبح ذلك كابوسًا بالنسبة له".

شهناز – طالبة دراسات عليا، جامعة مومباي

قالت شهناز للمُحاوِر إنه بالإضافة إلى الجانب الآمن للحجاب، يمكن للحجاب أيضًا أن يقلل الفرق بين من يملكون ومن لا يملكون: "من يستطيع أن يقول أن الفستان الموجود تحت الحجاب يساوي عشرة آلاف أو مجرد مائة؟"

فرحانة – طالبة دراسات عليا بجامعة مومباي

لاحظت فرحانة أن إحدى مميزات الملابس الخارجية هي أن ملابسنا (الداخلية) لا تتسخ ولا يستطيع أحد معرفة عدد المرات التي ارتدينا فيها فستاننا المفضل.

رابعة – طالبة دراسات عليا بجامعة مومباي

وتشير رابعة، التي ترتدي البرقع (عباءة طويلة مع النقاب)، إلى أنه يحمي الإنسان من أشعة الشمس فوق البنفسجية: "هذا هو الحل الأمثل للتلوث

والاسمرار. ليست هناك حاجة إلى واقيات الشمس الدهنية أو غير الفعالة.

لقد عانى المسلمون في القرنين الأخيرين من الكثير من عقد النقص في عصر الحكم الاستعماري الغربي في بلاد المسلمين. واليوم، هناك موجة ناشئة من الوعي الديني بين الشباب المسلم. هؤلاء الشباب المسلم لا يعانون من عقدة النقص التي أصابت آباءهم بسبب الاستعمار أو صدمة ما بعد الاستعمار. اليوم، يتم ملاحظة الحجاب والنقاب من قبل عدد متزايد من الفتيات المسلمات. ويشهد العصر الحديث عودة الحجاب والنقاب.

قصة الأخت تارا بلاكثورن

اعتنقت تارا بلاكثورن الإسلام عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها. وكانت في السابق مسيحية كاثوليكية واعتنقت الإسلام. شاركت قصة اعتناقها الإسلام وكيف بدأت بارتداء النقاب:

"هذه هي قصتي مع النقاب. لقد قبلت الإسلام في بداية العام الدراسي في

الصف الحادي عشر. قبل أن أسلم كنت قد اعتمدت ارتداء الجلباب والحجاب. أطلعني أحد أصدقائي المسلمين على دليل النقاب. لذلك قررت أنه في اليوم التالي لعطلة المدرسة في ذلك العام، سأبدأ إن شاء الله في ارتداء النقاب. ثم بدأت أسأل نفسي، لماذا كنت أنتظر حتى العطلة الصيفية، هل كنت أخاف إلى هذه الدرجة من مواجهة أقراني في المدرسة بالنقاب؟ لقد صدمت الجميع بالفعل بالجلباب والحجاب، لكنني لم أرغب في التعامل مع نظراتهم وتعليقاتهم الصامتة. وخشيت أن أكون مشركً بتقديم آراء زملائي في المدرسة على آراء الله. كما أنني كنت خائفة جدًا من ركوب قطار الأنفاق مرتدً نقابي، وقد تلقيت بالفعل نظرات قاتلة من أشخاص مختلفين.

في صلاة الجمعة التالية التي حضرتها، والحمد لله، كان الإمام يتحدث عن مقدار الوقت الذي لدينا في هذه الحياة وفجأة أصبحت مضطربًا. بدأت أفكر بجدية في فترة الانتظار التي حددتها لنفسي لأرتدي النقاب، وهل هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله؟ لا أستطيع التأكد مما إذا كنت سأعيش حتى انتهاء المدرسة. (لقد نشأ هذا الفكر بسبب الحدث المؤسف الذي وقع في

وقت سابق من ذلك العام، حيث توفيت صديقة طفولتي في حادث سيارة وكنت حساسة بعض الشيء بشأن الموت أثناء يوم الجمعة). لقد قررت أنه اعتبارًا من ذلك السبت، سأرتدي الخمار بشكل مختلف قليلاً، مع إظهار عيني فقط. ومازلت أرتدي النقاب ولم أندم على قراري. الناس يعيشون في مدينة نيويورك يعرفون حالة نظام النقل العام لديهم، آمل أن يمنحك القوة لبدء النقاب الخاص بك من خلال معرفة أنني أستقل مترو الأنفاق (القطار) وأحيانًا الحافلة 5 مرات على الأقل في الأسبوع في نقابي. كلما ركبت المترو، أذكر نفسي بالحديث الذي يقول: واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لَكَ ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ (ترمذي)"[164].

[164] Blackthorn, Tara. “My Niqab Story” http://www.muslimconverts.com/hijab_niqab/niqab_tara.htm

كيف أحببت الحجاب – إيفون ريدلي

إيفون ريدلي (Yvonne Ridley) صحفية حائزة على جوائز منذ أكثر من 25 عامًا ومؤلفة كتابين، "في أيدي طالبان" (In The Hands of the Taliban) و"تذكرة إلى الجنة" (Ticket to Paradise). لقد أمضت السنوات القليلة الماضية في العمل في العديد من صحف فليت ستريت المرموقة بما في ذلك صحيفة صنداي تايمز (The Sunday Times)، وذا أوبزرفر (The Observer)، وذا إندبندنت (The Independent)، وذا صنداي إكسبريس (The Sunday Express). عملت أيضًا في التلفزيون والإذاعة وأنتجت العديد من الأفلام الوثائقية من العراق وأفغانستان. وقد أوضحت ريدلي في إحدى مقالاتها بكل بلاغة كيف أصبحت تحب الحجاب، وهو ما سننقله هنا بإيجاز:

"السياسيون والصحفيون يحبون الكتابة عن اضطهاد المرأة في الإسلام... حتى دون التحدث إلى الإناث المتحجبات.

إنهم ببساطة ليس لديهم أي فكرة عن كيفية حماية واحترام المرأة المسلمة

ضمن الإطار الإسلامي الذي تم بناؤه منذ أكثر من 1400 عام....

كنت أنظر إلى النساء المحجبات على أنهن مخلوقات هادئات ومضطهدات، أما الآن فأنظر إليهن على أنهن نساء متعددات المهارات، متعددات المواهب، ومرنات. لقد تغيرت وجهة نظري بعد التجربة المروعة التي تعرضت لها عندما اعتقلتني حركة طالبان بتهمة التسلل إلى أفغانستان في سبتمبر/ أيلول 2001 مرتدية البرقع.

أثناء أسري لمدة 10 أيام، عقدت اتفاقًا مفاده أنهم إذا أطلقوا سراحي فسوف أقرأ القرآن وأدرس الإسلام. رغم كل الصعاب، نجح الأمر وتم إطلاق سراحي. في المقابل، وفيت بكلمتي، لكن كصحفية يغطي شؤون الشرق الأوسط، أدركت أنني بحاجة إلى توسيع معرفتي بالدين الذي كان من الواضح أنه أسلوب حياة.

ولا، أنا لست ضحية لمتلازمة ستوكهولم. لكي تكون ضحية عليك أن تتواصل مع خاطفيك. أثناء سجني، قمت بالبصق والسب والشتم والإساءة

إلى السجانين، كما رفضت طعامهم وأضربت عن الطعام. لا أعرف من كان أكثر سعادة عندما أطلق سراحي: أنا أم هم!

اعتقدت أن قراءة القرآن ستكون تمرينًا أكاديميًا بسيطًا للغاية. لقد أذهلت عندما اكتشفت أنه ينص بوضوح على أن النساء متساويات في الروحانية والتعليم والقيمة. إن موهبة المرأة في إنجاب الأطفال وتربية الأطفال تعتبر صفة وسمة معترف بها إلى حد كبير. تقول النساء المسلمات بكل فخر أنهن ربات بيوت.

مع الإسلام، فإن اختيار البقاء في المنزل وتربية الأطفال يأخذ في نظري كرامة واحترامًا جديدًا، مثل تلك الأخوات بيننا اللاتي يخترن الخروج للعمل والحصول على وظائف ومهن.

ثم بدأت أبحث في قوانين الميراث والضرائب والملكية والطلاق. هذا هو المكان الذي ربما يستلهم منه محامو الطلاق في هوليوود. على سبيل المثال، يجب على المرأة أن تحتفظ بما تكسبه وتمتلكه، بينما يجب على الرجل أن

يدفع نصف قيمته.

لدى النساء المسلمات عقود زفاف منذ اليوم الأول. يمكنهم اختيار ما إذا كانوا يريدون العمل أم لا وأي شيء يكسبونه هو ملكهم لإنفاقه بينما يتعين على الزوج دفع جميع فواتير الأسرة وإعالة أسرته. إن كل ما ناضل من أجله النسويون في السبعينيات كان متاحًا للنساء المسلمات منذ 1400 عام.

وكما قلت، فإن الإسلام يكرم ويحترم الأمومة و الزوجة. إذا كنت تريد البقاء في المنزل، فابقي في المنزل. إنه لشرف عظيم أن تكوني ربة منزل والمربية الأولى لأطفالك.

ولكن بالمثل، يقول القرآن: إذا أردتِ أن تعملي، فاعملي. كوني امرأة عاملة، تعلمي مهنة، كوني سياسية، كوني كما تريدين أن تكوني، وتميزي فيما تفعلينه بوصفكِ مسلمة، لأن كل ما تفعلينه هو بحمد الله سبحانه وتعالى.

هناك تركيز أو تركيز مفرط ومزعج تقريبًا على مسألة لباس المرأة المسلمة وخاصة من قبل الرجال (سواء المسلمين أو غير المسلمين).

نعم، من واجب المرأة المسلمة أن ترتدي ملابس محتشمة، ولكن بالإضافة إلى ذلك، هناك العديد من القضايا المهمة الأخرى التي تهم المرأة المسلمة اليوم.

ومع ذلك، الجميع مهووسون بالحجاب. انظر، إنها جزء من بدلة عملي. هذا يخبرك بأنني مسلم ولذلك أتوقع أن أعامل باحترام.

هل يمكنك أن تتخيل لو طلب شخص ما من مسؤول تنفيذي في وول ستريت أو مصرفي في واشنطن أن يرتدي قميصًا وجينزًا؟ سيخبرك أن بدلة العمل الخاصة به عليه أن يلتزم بارتدائها خلال ساعات العمل، ولا مجال للتهاون في ذلك.

ومع ذلك، ففي بريطانيا، وصف وزير الخارجية السابق جاك سترو (Jack Straw) النقاب بأنه حاجز غير مرحب به. متى، أوه، متى سيتعلم الرجال إبقاء أفواههم مغلقة أمام خزانة ملابس المرأة؟

كما كان لدينا وزيرا الحكومة جوردون براون (Gordon Brown) وجون ريد

(John Reid) يعبران عن ملاحظات مهينة بشأن النقاب – وكلاهما يأتي من الحدود الاسكتلندية حيث يرتدي الرجال التنانير!!

ثم دخلنا سلسلة من البرلمانيين الآخرين في المعركة واصفين النقاب بأنه عائق أمام التواصل. ما هذا الهُراء ؟! إذا كان الأمر كذلك، فهل يمكن لأي شخص أن يشرح لي سبب استخدام الهواتف المحمولة والخطوط الأرضية ورسائل البريد الإلكتروني والرسائل النصية وأجهزة الفاكس يوميًا؟ من يستمع إلى الراديو؟ لا أحد يقطع الاتصال اللاسلكي لأنه لا يستطيع رؤية وجه مقدم العرض.

معظم الأخوات اللواتي أعرفهن ويرتدين النقاب هن في الواقع نساء بيضاوات وغربيات اعتنقن الإسلام ولا يرغبن في تلقي الانتباه غير المرغوب فيه من بعض الرجال الذين يحدقون ويتصرفون بشكل غير لائق تجاه النساء. انتبه، هناك أختان من لندن أعرفهما تقولان إنهما ترتديان النقاب في المسيرات المناهضة للحرب لأنهما لا تستطيعان تحمل رائحة العطور.

وأخشى أن الإسلاموفوبيا أصبحت الملاذ الأخير للأوغاد العنصريين. لكن الهجمات الجبانة والشوفينية التي يشنها الرجال، إلى حد كبير، غير مقبولة بالنسبة للمسلمات وكذلك لأخواتهن العلمانيات من اليسار.

لقد كنت ناشطة نسوية لسنوات عديدة، والآن، بوصفي ناشطة نسوية إسلامية، ما زلت أدافع عن حقوق المرأة. والفرق الوحيد هو أن النسويات المسلمات أكثر تطرفًا من نظيراتهن العلمانيات. نحن جميعًا نكره مسابقات ملكات الجمال المروعة تلك، وحاولنا أن نتوقف عن الضحك عندما تم الترحيب بظهور ملكة جمال أفغانستان بالبكيني باعتباره قفزة عملاقة لتحرير المرأة في أفغانستان.

لقد عدت إلى أفغانستان عدة مرات وأستطيع أن أقول لكم إنه لا توجد نساء عاملات يخرجن من تحت الأنقاض في كابول. تقول أخواتي الأفغانيات إنهن يرغبن في أن يتخلى الغرب عن هوسه بالبوركا (الحجاب مع النقاب). قالت لي إحدى الأخوات: "لا تحاولي تحويلي إلى امرأة عاملة، احصلي على وظيفة لزوجي أولاً. أرني كيف يمكنني إرسال أطفالي إلى المدرسة دون خوف

من اختطافهم. أعطني الأمن والخبز على الطاولة. ."

ترى الشابات المسلمات النسويات أن الحجاب والنقاب رموز سياسية بالإضافة إلى متطلبات دينية. ويقول البعض إن هذه هي طريقتهم في إظهار رفضهم لتجاوزات أنماط الحياة الغربية مثل الإفراط في شرب الخمر، وممارسة الجنس العرضي، وتعاطي المخدرات، وما إلى ذلك.

فالتفوق في الإسلام يتم بالتقوى، وليس بالجمال أو المال أو السلطة أو المنصب أو الجنس.الآن أخبرني ما هو أكثر تحررا. هل يتم الحكم عليك على أساس طول تنورتك وحجم ثدييك المعززين تجميليًا، أم يتم الحكم عليك على شخصيتك وعقلك وذكائك؟

تخبرنا المجلات اللامعة، نحن النساء، أنه ما لم نكن طويلات القامة، نحيفات وجميلات، فسنكون غير محبوبات وغير مرغوب فينا. إن الضغط على قراء المجلات المراهقين من أجل الحصول على صديق يكاد يكون فاحشًا.

يقول لي الإسلام إن من حقي أن أتعلم، ومن واجبي أن أخرج لطلب العلم

سواء كنت عزبًا أو متزوجًا."[165]

نظرة من خلال النقاب – انطباعات امرأة يابانية اعتنقت الإسلام

ناكاتا خولا، اليابانية الأصل، اعتنق الإسلام في يناير/ كانون الثاني 1991 أثناء وجودها في فرنسا، بعد شهر من قراءتها عن الإسلام. في كتابها "نظرة من خلال النقاب" وكذلك مقالاتها المقتبسة، وصفت رحلتها من وِشَاح إلى النقاب بعد قبول الإسلام.

بعد اعتناقها الإسلام، بدأت خولة في البداية بارتداء الوِشَاح. باعتبارها امرأة يابانية مقيمة في بلد أجنبي (فرنسا)، شعرت بعدم الارتياح في الأماكن العامة. ومن ثم، مع ارتداء الوشاح، شعرت بالحماية إلى حد ما من النظرات غير المهذبة. ثم عادت إلى المنزل. وظلت تؤدي الصلوات الخمس وترتدي

---

165 Ridley, Yvonne (Tuesday, 31 October, 2006) yvonneridley.org (http://yvonneridley.org/yvonne-ridley/articles/how-i-came-to-love-the-veil.html)

الوِشَاح في بلدة يابانية صغيرة. لقد كان بالتأكيد اختبارًا لإيمانها، حيث لا يوجد مسلم في تلك المدينة. وجاءت الخطوة التالية. وأدركت أن الإسلام يحرم على النساء في الأماكن العامة ارتداء الملابس التي تكشف شكل أجسادهن. ولذلك بدأت بارتداء الملابس الفضفاضة.

بعد ستة أشهر من إسلامها، سافرت خولة إلى مصر. وهناك تفاجأت عندما علمت أن مضيفتها كانت مغطاة باللون الأسود من رأسها إلى أخمص قدميها بما في ذلك وجهها عندما خرجت في الأماكن العامة. وتتذكر خولة قائلة: "في ذلك الوقت كانت معرفتي الإسلامية محدودة للغاية، وكنت أعتقد أن تغطية الوجه تنبع من التقاليد العرقية، وليس لها أي أساس في الإسلام". إلا أن خولة قامت بخياطة فستان أسود طويل و خمار. معظم الأخوات المصريات اللاتي بقيت مع خولة يعتقدن اعتقادا راسخا أن تغطية الوجه جزء من واجبهن الديني لكنهن لم يجبرن خولة وتركن الأمر لاختيارها. وعلى الرغم من أن هؤلاء الأخوات المحجبات لا يشكلن سوى نسبة صغيرة داخل مدينة القاهرة المتعددة الثقافات والعلمانية، إلا أن خولة قدمت ملاحظة مثيرة للاهتمام:

"حافظ المصريون العاديون على مسافة بعيدة عن النساء المسلمات المحجبات، وأطلقوا عليهن لقب "الأخوات". وكان الرجال يعاملونهن باحترام خاص وأدب. ويبدو أن هؤلاء "الأخوات" يشتركن أيضًا في رابطة خاصة. بشكل عام، كانت النساء المحجبات أكثر وعيًا بمعتقداتهن. أولئك الذين كانوا يرتدون الأوشحة البسيطة أو لا يرتدون أي شيء على الإطلاق بدوا غير مهتمين بالتزاماتهم الدينية."(166)

وبعد فترة وجيزة عادت إلى اليابان. وبعد ثلاثة أشهر رافقت زوجها إلى المملكة العربية السعودية حيث حصل على عمل. نظرًا لأن خولة كانت مهتمة بالفعل بمعرفة ما ستشعر به خلف النقاب، فقد قامت بإعداد النقاب صغير.

---

166 Nakata, Khaula (1994) A View Through The Hijab. Jeddah, Abul-Qasim Publishing House.

ومن هنا وصفت وجهة نظرها من خلال النقاب:

"في السابق كنت أتساءل عن مدى سهولة تنفس الأخوات تحت النقاب. يبدو أن الأمر يتعلق بالعادة؛ مرة واحدة معتادة على ذلك، لم يكن هناك أي إزعاج. في المرة الأولى التي ارتديت فيها النقاب شعرت بأنني جميلة، بل رائعة للغاية، وكأنني أصبحت شخصًا مميزًا. شعرت وكأنني صاحب تحفة فنية يتمتع بمتعتها السرية. كان لدي كنز لم يعرفه أحد ولم يسمح للغرباء برؤيته... وهكذا، فقد اختبرت الحجاب من أبسط صوره إلى شكله الكامل."(167)

[167] المرجع نفسه.

لماذا تخليت عن البيكيني من أجل النقاب: الرمز الجديد لتحرر المرأة

نشأت سارة بوكر (Sara Bokker) كمسيحية وهي ممثلة وعارضة أزياء ومدربة لياقة بدنية سابقة. تشغل سارة حاليًا منصب مديرة الاتصالات في "المسيرة من أجل العدالة" (The March For Justice)، وأحد مؤسسي "شبكة الأخوات العالمية" (The Global Sisters Network). وعندما اعتنقت الإسلام بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، أصيب الكثير من محبيها بالصدمة، وفي السطور التالية، وصفت سارة بوكر رحلتها من البكيني إلى النقاب:

أنا امرأة أمريكية ولدت في وسط قلب " أمريكا." لقد نشأت، مثل أي فتاة أخرى، مهووسة بسحر الحياة في "المدينة الكبيرة". في نهاية المطاف، انتقلت إلى فلوريدا وإلى الشاطئ الجنوبي في ميامي، وهي نقطة جذب لأولئك الذين يبحثون عن الحياة الساحرة...."

مع استمرار الفجوة في الاتساع بين تحقيق ذاتي وأسلوب حياتي، لجأت إلى الهروب من الكحول وحفلات والنشاط والديانات البديلة، فقط لكي تتسع الفجوة الصغيرة إلى ما بدا وكأنه وادٍ. أدركت في النهاية أن الأمر كله كان مجرد مسكن للألم وليس علاجًا فعالًا.

كان ذلك يوم 11 سبتمبر/ أيلول 2001. وبينما كنت أشاهد القصف الذي أعقب ذلك على الإسلام والقيم والثقافة الإسلامية، والإعلان المشين عن "الحملة الصليبية الجديدة"، بدأت ألاحظ شيئًا يسمى الإسلام. حتى تلك اللحظة، كل ما ربطته بالإسلام هو النساء المغطيات بالخيام، والزوجات المعنفات، والحريم، وعالم الإرهاب....

في أحد الأيام، عثرت على كتاب يتم تصويره تصورًا سلبيًا في الغرب – القرآن الكريم... وجدت أن القرآن خطاب ثاقب للغاية للقلب والروح دون الحاجة إلى مترجم أو قس.

وفي نهاية المطاف، وصلت إلى لحظة الحقيقة: لم يكن نشاطي الجديد الذي

حققته ذاتيًا أكثر من مجرد اعتناق عقيدة تسمى الإسلام حيث يمكنني العيش بسلام مسلمة بوجود مهم.

لقد اشتريت ثوبًا طويلًا جميلاً و وِشَاحًا يشبهان قواعد لباس المرأة المسلمة، وسرت في نفس الشوارع والأحياء التي كنت أسير فيها قبل أيام فقط مرتديًا سروالي القصير أو البكيني أو ملابس العمل الغربية "الأنيقة". على الرغم من أن الناس، والوجوه، والمتاجر كانت كلها كما هي، كان هناك شيء واحد مختلف بشكل لافت للنظر - وهو أنني لم أكن كذلك - ولم يكن السلام لكوني امرأة الذي شعرت به لأول مرة. شعرت كما لو أن القيود قد تحطمت وأنني تحررت أخيرًا. أسعدتني نظرات التعجب الجديدة على وجوه الناس بدلاً من نظرات الصياد الذي يراقب فريسته التي كنت أبحث عنها ذات يوم. وفجأة تم رفع الثقل عن كتفي. لم أعد أقضي كل وقتي في التسوق والمكياج وتصفيف شعري وممارسة الرياضة. وأخيراً أصبحت حرةً....

وبينما كنت راضيةً عن الحجاب، أصبح لدي فضول بشأن النقاب، حيث رأيت عددًا متزايدًا من النساء المسلمات يرتدينه. كان حجابي في ذلك الوقت عبارة

عن وِشَاح يغطي كل شعري ما عدا وجهي، وعباءة سوداء طويلة فضفاضة تسمى "العباءة" تغطي كل جسدي من الرقبة إلى أخمص القدمين.

ومرت سنة ونصف وأخبرت زوجي برغبتي في ارتداء النقاب. كان واقعي هذه المرة هو أنني شعرت أنه سيكون أكثر إرضاءً لله الخالق، مما يزيد من شعوري بالسلام عندما أكون أكثر عفة. لقد أيد قراري وأخذني لشراء "إسدال"، وهو ثوب أسود فضفاض يغطي من الرأس إلى أخمص القدمين، والنقاب الذي يغطي رأسي ووجهي بالكامل باستثناء عيني.

وسرعان ما بدأت الأخبار تتكشف عن سياسيين ورجال دين في الفاتيكان، ومدافعين عن الحريات، وما يسمى بنشطاء حقوق الإنسان والحرية، الذين يدينون الحجاب في بعض الأحيان، والنقاب في أحيان أخرى، لأنه وسيلة قمع للمرأة، وعائقاً أمام التكامل الاجتماعي، ومؤخراً، باعتباره انتهاكاً للقانون. ووصفه مسؤول مصري بأنه "علامة على التخلف."

أجد أنه من النفاق الصارخ أن تسارع الحكومات الغربية وما يسمى بجماعات

حقوق الإنسان للدفاع عن حقوق المرأة عندما تفرض بعض الحكومات قواعد معينة للزي على النساء، ومع ذلك فإن هؤلاء "المقاتلين من أجل الحرية" يغضون الطرف عندما تُحرم النساء من حقوقهن. حقوقهن وعملهن وتعليمهن فقط لأنهن اخترن ممارسة حقهن في ارتداء النقاب أو الحجاب. واليوم، تُمنع النساء المحجبات على نحو متزايد من العمل والتعليم، ليس فقط في ظل الأنظمة الشمولية كما هو الحال في تونس والمغرب ومصر، ولكن أيضًا في الديمقراطيات الغربية مثل فرنسا وهولندا وبريطانيا.

واليوم ما زلت نسوية أدعو المرأة المسلمة لتحمل مسؤولياتها في دعم زوجها ليكون مسلمًا صالحًا وتربية أبنائها ليصبحوا منارة للإنسانية. وأن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر. أن نناضل من أجل حقنا في ارتداء النقاب والحجاب وإرضاء خالقنا. ومن المهم أيضًا نقل تجربتنا مع النقاب والحجاب إلى النساء اللاتي لم تتح لهن الفرصة لفهم معناه بالنسبة لنا ولماذا نتمسك به.

معظم النساء اللواتي أعرفهن ويرتدين النقاب هن من الغربيات المعتنقات للإسلام، وبعضهن لسن متزوجات. وأخريات يرتدين النقاب دون الدعم

الكامل من الأسرة أو المحيط. القاسم المشترك بيننا جميعًا هو أن هذا هو الاختيار الشخصي لكل واحدة منا، والذي لا أحد منا يرغب في التنازل عنه....

لا يمكنني أن أكون أكثر سعادة بالتخلي عن البكيني الخاص بي في الشاطئ الجنوبي وأسلوب الحياة الغربي "الساحر" الذي أعيشه بينما أسلم نفسي لخالقي وأستمتع بالعيش بين إخواني البشر كشخص جدير. **ولهذا السبب اخترت ارتداء النقاب، ولهذا السبب سأموت دفاعًا عن حقي غير القابل للتصرف في ارتدائه. اليوم، النقاب هو الرمز الجديد لتحرر المرأة.**

وإلى النساء اللواتي يستسلمن للصورة النمطية القبيحة ضد الحجاب الإسلامي، أقول: أنتن لا تعلمن ما ينقصكن."[(168)]

---

[168] Bokker, Sara (Jan. 10, 2007) “Why I Shed Bikini for Niqab: The New Symbol for Women’s Liberation” (http://www.albalagh.net/women/0097.shtml)

الفصل السادس

الخاتمة: رؤية شاملة لتحرير المرأة في المنظور الإسلامي

في هذا الكتاب، قمنا بدحض الشبهات وقدمنا حجةً دامغةً على أن الحجاب والنقاب ليسا مجرد عاداتٍ ثقافية، بل هما عبادةٌ مفروضةٌ بأمرٍ إلهي، مستمدة من القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح. ولقد أثبتنا كيف يؤكد العلم الحديث الحكمة النفسية والاجتماعية للستر الإسلامي، بينما يكشف التاريخ عن الأجندة الاستعمارية وراء محاربته. الأدلة واضحة: من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة التي تثبت فرضية الحجاب، إلى الأبحاث العلمية التي تؤكد فوائده في حفظ كرامة المرأة وصحتها النفسية، إلى السجل التاريخي الذي يثبت ممارسته قبل التدخل الغربي.

لكن هذا الكتاب يحمل رسالةً أعظم من مجرد أدلةٍ وحجج: إنه دعوةٌ لإيقاظ الوعي. فالحجاب ليس مجرد زيٍّ — بل هو منظومةٌ فكريةٌ تكرم الدور المقدس للمرأة في المجتمع. بينما تختزل الأيديولوجيات الحديثة المرأة إلى سلعةٍ تُسوَّق وتُستهلك، يرفعها الإسلام إلى مكانتها الحقيقية كإنسانةٍ كريمةٍ تستحق الحماية والاحترام.

الحجاب ليس قطعة قماش — بل هو ثورة. في عالمٍ يعلّم المرأة أن قيمتها تكمن في مظهرها الجسدي، يعلن الإسلام أن قدرها يتجاوز السطحيات. بينما تبيع النسوية العلمانية "التحرر" عبر التعري والتجنس، يمنح الله الحرية الحقيقية عبر الستر والحماية. النقاب ليس حاجزاً أمام التقدم—بل هو درعٌ ضد تجريد المرأة من إنسانيتها، وتحدٍّ لنظامٍ يستغلّها لتحقيق الأرباح.

والنتائج تتحدث عن نفسها: مجتمعاتٌ تخلت عن الستر غرقت في التحرش والإدمان والأسر المفككة والأزمات النفسية، بينما يزرع الستر الإسلامي الأمان والاحترام والطمأنينة الروحية. أثبتت الدراسات ما عرفته

المرأة المسلمة دائمـًا — أن الستر يُشعِرُها بالراحة النفسية والتمكين، ويجعلها تُقدَّرُ لذكائها وأخلاقها لا لمظهرها. وتؤكد الروايات التاريخية أن المسلمات شاركنَ بفعالية في الحياة العلمية والعامة وهنّ محتجبات، مما يثبت أن الستر ليس عائقـًا أمام الإنجاز.

إلى المرأة المسلمة: حجابكِ هو تاجكِ. إنه ليس رمزَ اضطهادٍ، بل تحدٍّ لعالمٍ يسعى لاستهلاككِ. كل خيطٍ في حجابك هو إعلانٌ أن قيمتكِ تُقاس بصلتكِ بالله، لا بمعايير المجتمع. أنتِ لستِ مخفيةً—بل الله يراكِ، وهذا هو التقدير الوحيد الذي يهم. مثل عالمات الإسلام الرائدات اللواتي غيّرن التاريخ وهنّ محتجبات، يمكنكِ أن تجمعي بين هذا الشرف الإلهي والتفوق في كل المجالات.

إلى الرجل المسلم: الحجاب مسؤوليتك. هو اختبارٌ لالتزامك بأمر الله بحفظ أعراض النساء. مجتمعٌ يحترم الحجاب هو مجتمعٌ تتحرك فيه الأمهات

والأخوات والبنات بأمانٍ وفخر. كما حمى النبي صلى الله عليه وسلم عفة زوجاته وصحابياته، عليك أن تحفظ هذه الأمانة المقدسة.

إلى المشككين: نطالبكم بإعادة النظر. إذا كان "التحرر" يعني تعرّض المرأة للتحرر واضطرابات الطعام وضغوط تسويق جمالها، بينما يمنحها "الاضطهاد" الكرامة والاستقلالية والأجر الإلهي—فربما تحتاجون إلى مراجعة مفاهيمكم. النموذج الإسلامي يقدم ما فشلت النسوية الحديثة في تحقيقه: احترامـًا حقيقيـًا، حمايةً فعلية، ورضىً روحيـًا.

هذا ليس تقييداً — بل هو تحرير. تحريرٌ من ضغوط المجتمع، من الاستغلال، من طغيان المظاهر. الحجاب رحمة الله، ملاذٌ للروح في عالمٍ مليءٍ بالفوضى. هو زيٌّ من اختارت حبَّ الله على رضا البشر، والمبادئ الأبدية على الموضات العابرة.

فليكن هذا الكتاب منارةً للساعين إلى الحق. ليكتم صوت المنتقدين، ويقوّي المؤمنين، ويدعو الصادقين إلى طريق الشرف الإلهي. الخيار واضح: هل تتبعون معايير العالم الزائلة، أم حكمة الخالق الأبدية؟

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾ (سورة طه)

نسأل الله أن يجعل هذا الكتاب سبباً للهداية، وأن تنهض الأمة لاستعادة شرف الحجاب بعلمٍ وفخرٍ وإيمانٍ راسخ. ولتكن نساؤنا مثالاً لكرامة فاطمة ﵂، وعلم عائشة ﵂، وشجاعة نسيبة ﵂ — وهنّ محتفظاتٍ بحجابهنّ المقدس. وليكون رجالنا حراساً للعفة كما كان الصحابة، لبناء مجتمعاتٍ تُزهِر فيها القيم الإسلامية.

آمين يا رب العالمين

إلى المرأة المسلمة: حجابكِ هو تاجكِ. إنه ليس رمزًا للقمع، بل تحديًا لعالم يسعى إلى استغلالكِ. كل خيط في حجابكِ هو إعلان بأن قيمتكِ تُحددها صلتكِ بالله، وليس معايير المجتمع. أنتِ لستِ مخفيةً - بل أنتِ مرئيةٌ بعين الله، وهذا هو التقدير الوحيد الذي يهم. مثل العالمات والرائدات العظيمات في الإسلام اللواتي غيّرن التاريخ وهنّ محافظات على الحياء، يمكنكِ أنتِ أيضًا أن تتبنّي هذا الشرف الإلهي بينما تتفوقين في جميع مجالات الحياة.

من علم الأعصاب إلى علم النفس الاجتماعي، يكشف كتاب **"الحجاب: تحرير أم قمع؟"** للدكتور جوهر مشتاق (وهو نفسه عالم الباحث) أدلةً صادمة: كيف يحمي الحجاب الصحة النفسية، ويواجه "النظرة الذكورية"، ويحرر المرأة من الاستغلال، ولماذا تتجه النساء الغربيات إلى اعتناق الإسلام بأعداد قياسية. يدحض الدكتور جوهر الخرافات بحكمة إلهية وأبحاث حديثة، مُثبتًا أن الحجاب ليس لإخفاء المرأة - بل لإبراز قيمتها الحقيقية. اكتشفي لماذا تعيد النساء المتعلمات حول العالم تبني مفهوم الحياء - ولماذا يقض مضاجع الأنظمة التي تبني ثرواتها على استغلال جمال المرأة. هذا الكتاب ليس مجرد دفاع - إنه ثورة.